

الفصل العاشر

من الفلاسفة والمفكرين المسلمين

وكانما اكتفت الدنيا القديمة في قرونها الأخيرة بعالمقة الفلسفة الثلاثة ، أو كأنما ارتضت المدنية ثمرات ذلك التفكير الناضج ، فلم يهز التفكير بفلاسفة فطاحل يظهرون بعد أرسطو إلى عدة قرون . والظاهر أن بعض التاج الإغريقي لم يصل إلينا ، على أن ما وصل كان كافياً ليعطى موائد المعرفة إلى اليوم .

وتمضى القرون مع عجلة الزمن ثم ينادى السيد المسيح بدعواه النبيلة فيتردد صداها في أنحاء العالم ، وتنتشر المسيحية شيئاً فشيئاً ، ويبدأ سكان الغرب يفكرون وفي أرضيتهم الخلفية دين سماوى له كتاب مقدس .

وتمضى القرون ، ثم تظهر الدعوة الإسلامية وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً ، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً . ويجد بعض سكان البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهدوه في أزمان حكم عرفت فيها الاضطهادات من خالف الملة . وتبدأ كنوز المعرفة الإغريقية تظهر وتعرف ، وتصل إلى أيد أمينة تقدر ما تحويه من نفائس . وقد عرفنا حركة ترجمة وتأليف حمل العرب لواءها .

وكانما عجلة الزمن في دورانها تنقل مركز الثقل إلى الشرق الأوسط ليعلو صوته في العالمين في قرون كانت فيها أوروبا تغط في نوم عميق سياسياً واقتصادياً وفكرياً . وقد نجد خيراً في الانتقال إلى بعض الفلاسفة من العرب الذين طبق ذكركم الآفاق ودرست مؤلفاتهم وآراؤهم في الجامعات الأوروبية . وقبل أن تنتقل إلى هؤلاء الفلاسفة العرب نلقى بعض الأضواء على الحضارة العربية

خلال القرون الوسطى . فقد كتب ما كورميك (٤) القس الكاثوليكي يقول إن العرب ترجموا المؤلفات الإغريقية وخاصة الفلسفية إلى العربية ، وإن الخلفاء والزعماء الدينيين كانوا حماة التعليم . وقد انتشر التعليم الابتدائي والعالي في البلاد التي ساد فيها الإسلام شرقاً وغرباً ، وعرفت مراكز للدراسة العالية في بغداد والقاهرة وقرطبة وتوليدو وأشبيلية ، ويقدر عدد المكتبات العامة في مدينة غرناطة بالأندلس بسبعين مكتبة ، وكان بها أيضاً سبع عشرة كلية ومائتا مدرسة ابتدائية .

ويقول القس الكاثوليكي إن العلماء العرب ترجموا عن الإغريقية — الرياضيات والمؤلفات الطبية والفلسفية ، وإنهم كانوا أول من قدموا التراث الإغريقي إلى أوروبا . وقد درس الكندي الفلسفة الأرسطية في بغداد خلال القرن التاسع الميلادي كما درسها الفارابي في القرن العاشر . ونبع من العرب ابن سينا الطبيب الفيلسوف وكذلك الفيلسوف ابن رشد .

ويستمر ما كورميك في قوله ، فيشيد بما قدمه العرب للغرب في الفلك والجغرافية ، وأنهم عرفوا مساحة الأرض ، واستخدموا البندول كقياس للزمن ، وحددوا طول العام . وكانت لهم مراصد ، وأنهم استخدموا الكرة الأرضية لتدريس الجغرافية في المدارس ، وأنهم قدموا للعالم الجبر وحسبوا في علم حساب المثلثات . وكانت اكتشافاتهم في الكيمياء والفيزياء جديرة بالاهتمام كما تفوقوا في الجراحة والطب وعلموا الغرب استخدام الكحول والزئبق والكافور . ويستطرد مبيناً الحضرات والفراكة التي أخذها الغرب عن العرب وزرعوها في بلادهم كالخرشوف والبنجر والمشمش والخوخ . وعمرت أسواق الغرب بكثير من منتجات العرب وصناعاتهم ، ويشيد نقلا عن مؤرخين إفرنجية بالظروف الصحية الممتازة التي عرفت عن كبريات المدن الإسلامية في العصور الوسطى ، وأنهم يبدون إعجابهم بالأسواق والمساجد والقصور والحمامات العامة والطرق الممهدة وإنارة الشوارع .

وفلاسفة العرب الذين كتبوا في التربية في العصور الوسطى كثير ون سوف

نتناول بعضاً منهم (١) . وليس المقام هنا للخوض في تفاصيل سيرهم وأخبار حوادثهم في هذه العجالة عن الفكر التربوي وتطوره . وإنما سأكتفي ببندة قد تساعد القارئ على الإلمام بالظروف التي أحاطت بكل فيلسوف . وقد يجد القارئ أن المؤلف قد تعرض لكل فيلسوف ومفكر بطريقة مختلفة من حيث عرض فلسفته ، ولكنه كان حريصاً على محاولة استخدام لغة تناسب مع عصر الفيلسوف أو المفكر مع اختيار بعض المقتطفات المناسبة للمقام من آراء كل منهم .

محمد بين سحنون

كان سحنون (المتوفى عام ٢٤٠ للهجرة) عالماً وأهل ثقة ، فقيهاً بارعاً وزاهداً في الدنيا ، وقد سلم له بالإمامة أهل عصره . وقد تبوأ ابنه محمد مكانة عالية سائراً على نهج أبيه في تثبيت مذهب مالك بالقيروان والمغرب خلال القرن الثالث الهجري . وقد تحقق لابن سحنون ولوالده ما ابتغيا فساد مذهب مالك في المغرب حيث تبنى القوم الفقه الإسلامي على أساس من القرآن والحديث ولذلك اصطلاح العلماء على تسميتهم بأهل الحديث (٢) .

ولابن سحنون المتوفى عام ٢٥٦ هـ كتاب هو (آداب المعلمين) نقله عن أبيه . وقد تأثر بهذا الكتاب الصغير (حوالى ٢٦ صفحة) بعض المفكرين الإسلاميين مثل القابس . ويتضمن هذا الكتاب - الذى اهتم بتصحيحه الإسلاميين مثل القابس . ويتضمن هذا الكتاب - الذى اهتم بتصحيحه والتعليق عليه ونشره الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب - مجموعة موضوعات (٣) :

١ - ما جاء في تعليم القرآن العزيز .

-
- (١) مخبرت بعض المفكرين الذين أسهموا في المجال النهوى . وغيرهم كثيرون لا يتسع حيز الكتاب الإحاطة بهم .
(٢) للأحد فؤاد الاموانى : التربية في الإسلام . ص ٤١ .
(٣) نفس المصدر . ص ٥٨ .

- ٢ — ما جاء في العدل بين الصبيان .
 - ٣ — باب ما يكره محوه من ذكر الله
 - ٤ — ما جاء في الأدب وما يجوز في ذلك وما لا يجوز .
 - ٥ — ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم .
 - ٦ — ما جاء في القضاء بهدية العيد .
 - ٧ — ما يجب للمعلم من لزوم الصبيان
 - ٨ — ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب
 - ٩ — ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه .
- ويتكلم ابن سخنون قليلا عن تعليم الصبيان . وقد اختلفت الآراء في تحديد مدى هذه المرحلة التعليمية ، ويلوح أنها كانت تمتد من سنى السادسة إلى الحادية عشرة في رأى المرجح .

كتاب آداب المعلمين

لمحمد بن سخنون (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ما جاء في تعليم القرآن العزيز

قال أبو عبد الله محمد بن سخنون : حدثني أبي سخنون ، عن عبد الله ابن وهب ، عن سفيان الثوري ، عن علقمة بن مرثد ، عن أبي عبد الرحمن السلمى ، عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : افضلكم من تعلم القرآن وعلمه .

محمد عن أبي طاهر ، عن يحيى بن حسان ، عن عبد الواحد بن زياد ، عن عبد الرحمن بن إسحاق ، عن النعمان بن سعد ، عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

محمد عن يعقوب بن كاسب عن يوسف بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، عن عبد الله بن ابي رافع ، عن علي بن ابي طالب

(١) النص والشرح من : أحمد نوّيد الأهلاني : الترهيب في الإسلام

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يرفع الله بالقرآن أهواً .
عن سخنون ، عن عبد الله بن عبد الله بن نافع قال : حدثني حسين ،
عن عبد الله بن حمزة عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : عليكم بالقرآن فإنه ينفي الفساق كما تنفي النار خبث
الحديد .

موسى عن عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد الرحمن بن نوفل ، عن أبيه
عن أنس بن مالك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله أهلين من
الناس ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال : هم حملة القرآن ، هم أهل الله
وخاصته .

عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن
ابن عبد القاري ، عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .

قال حدثني موسى بن معاوية الصمادحي ، عن سفیان ، عن الأعمش ،
عن تميم بن سلمة ، عن حذيفة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من قرأ القرآن بإعراب فله أجر شهيد .

وحدثني عن الزهري أحمد بن أبي بكر ، عن محمد بن طلحة ، عن سعيد
ابن سعيد المغربي ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تعلم القرآن في شببته اختلط القرآن بلحمه ودمه ، ومن تعلمه في كبره
وهو يتلفت منه ولا يتركه ، فله أجره مرتين .

وحدثني أبو موسى ، عن ابن وهب ، عن معاوية بن صالح ، عن أسد
ابن وداعة ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قول الله تبارك وتعالى
« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » قال : كل من تعلم القرآن وعلمه
فهو ممن اصطفاه الله من بني آدم .

وحدثونا عن سفیان الثوري ، عن العلاء بن السائب قال : قال ابن مسعود
ثلاث لا يبد للناس منهم ، لا يبد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل

بعضهم بعضاً : ولا بد للناس من شراء المصاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب الله ؛ ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ولولا ذلك لكان الناس أميين .

ابن وهب عن عمر بن قيس ، عن عطاء : إنه كان يعلم الكتاب على عهد معاوية ويشترط . ابن وهب عن ابن جريج قال : قلت لعطاء أأخذ الأجر على تعليم الكتاب ؟ قال : أعلمت أن أحداً كرهه ؟ قال : لا . ابن وهب عن حفص بن ميسرة ، عن يونس ، عن ابن شهاب : أن سعد بن مالك قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر . قال ابن وهب وقال مالك : لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن ، وإن اشترط شيئاً كان حلالاً جائزاً ، ولا بأس بالاشتراط في ذلك وحق الختمة له واجب اشترطها أو لم يشترطها ، وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا في المعلمين .

ما جاء في العدل بين الصبيان

حدثني محمد بن عبد الكريم البرقي ، قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم العمري ، قال : حدثنا آدم بن بهرام بن إياس ، عن الربيع ، عن صبيح ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم ، وغنيهم مع فقيرهم ، حشر يوم القيامة مع الخائنين .

عن موسى ، عن فضيل بن عياض ، عن ليث ، عن الحسن قال : إذا قوطع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم - يعنى الصبيان - كتب من الظلمة .

باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى

وما ينبغي أن يفعل من ذلك

حدثني محمد بن عبد الرحمن ، عن عبد الله بن مسعود ، عن زيد بن ربيع ، عن بشر بن حكيم ، عن سعيد بن هارون ، عن أنس بن مالك قال : إذا محت صبية الكتاب (تنزيل من زب العالمن) من ألواحهم بأرجلهم ، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره ، ثم لم يبال حين يلقي الله على ما يلقاه عليه .

قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضی الله تعالى عنهم ؟ قال أنس : كان المؤدب له إجنّاة ، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماءً طاهراً فيصبونه فيها ، فيمحوون به ألواحهم ، قال أنس : ثم يخفرون حفرة في الأرض ، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف . قلت : أفترى أن يلعط ؟ قال : لا بأس به ، ولا يمسح بالرجل ، ويمسح بالمنديل وما أشبه . قلت : فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل ؟ قال : أما ما كان من ذكر الله فلا يمحه برجله ، ولا بأس أن يمحي غير ذلك مما أس من القرآن .

رحدثنا عن موسى عن جوير بن منصور قال : كان إبراهيم النخعي يقول : من المروءة أن يرى في ثوب الرجل وشفته مداد ؛ قال : وفي هذا دليل أنه لا بأس أن يلعطه ، يعني يلعقه .

ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما يجوز

قال : وحدثنا عن عبد الرحمن : عن عبيد بن إسحاق ، عن يوسف بن محمد ، قال : كنت جالساً عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكي فقال : يا بني ما يبكيك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : أما والله لأحدثكم اليوم : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرار أمّتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين .

قال محمد : وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب ، وليس على منافعهم ؛ ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ، ولا يجوز بالأدب ثلاثاً ، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً . ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجوز بالأدب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجوز أدبه ثلاثاً .

قلت : لم وقت عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن ، وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال : لأن عشرة غاية الأدب ؛ وكذلك سمعت مالكاً يقول : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد .

قال محمد : وحدثنا يعقوب بن حميد ، عن وكيع ، عن هشام بن أبي عبد الله بن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضرب فوق عشرة أسواط إلا في حد .

حدثنا رباح ، عن ثابت ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أدب الصبي ثلاث درر ، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة ؛ وأدب المسلم في غير الحد عشر إلى خمس عشرة فما زاد عنه إلى العشرين يضرب به يوم القيامة .

قال محمد : وكذلك أرى ألا يضرب أحد عبده أكثر من عشرة ، فما زاد على ذلك قوصص به يوم القيامة إلا في حد ، إلا إذا تكاثرت عليه الذنوب ، فلا بأس أن تضربه أكثر من عشرة ، وذلك إذا كان لم يعف عما تقدم ؛ وقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم في أدب النساء . وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما ضرب امرأته . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق . وقد قال بعض أهل العلم : إن الأدب على قدر الذنب ، وربما جاوز الأدب الحد ، منهم سعيد بن المسيب وغيره .

ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم

وسألت متى تجب الختمة فقال : إذا قاربها وجاوز الثلثين ؛ فسأته عن ختمة النصف ، فقال : لا أرى ذلك يلزم . قال سحنون : ولا يلزم ختمة غير القرآن كله لا نصف ولا ثلث ولا ربع ، إلا أن يتطوعوا بذلك .

قال محمد : وحضرت لسحنون قضى بالختمة على رجل ؛ وإنما ذلك على قدر يسر الرجل وعسره . وقيل له : أترى للمعلم سعة في إذنه للصبيان اليوم ونحوه ؟ قال : ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه ، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا باذن آبائهم كلهم ، لأنه أخير لهم .

قلت : وما أهدى الصبي للمعلم أو أعطاه شيئاً فيأذن له على ذلك ؟ فقال لا ، إنما الإذن في الختم اليوم ونحوه ، وفي الأعياد ، وأما في غير ذلك فلا يجوز له إلا باذن الآباء ؛ قال : ومن هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين

لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم ، إلا من عصم الله .
قال لى : هذا إذا كان المعلم يعلم بأجر معلوم كل شهر أو كل سنة ، وأما
إن كان على غير شرط فما أعطى قبل ، وما لم يسأل لم يُعْطَ شيئاً ، فله أن يفعل
ما شاء ، إذا كان أولياء الصبيان يعلمون تضييعه فان شاءوا أعطوه على ذلك ،
وإن شاءوا لم يعطوه .

ما جاء في القضاء بعطية العيد

قلت : فعطية العيد يقضى بها ؟ قال : لا ، ولا أعرف ما هي إلا أن
يتطوعوا بها . قال : ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئاً من
هدية وغير ذلك ، ولا يسألهم في ذلك ، فان أهدوا إليه على ذلك ، فهو
حرام ، إلا أن يهدوا من غير مسألة ، إلا أن تكون المسألة منه على وجه
المعروف ، فان لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك ، وأما إن كان يهددهم في
ذلك ، فلا يحل له ذلك ، أو يخليهم إذا أهدوا له ، فلا يحل له ذلك ، لأن
التخلية داعية إلى الهدية ، وهو مكروه .

ما ينبغي أن يخلى الصبيان فيه

قلت له : فكم ترى أن يأذن لهم في الأعياد ؟ قال : الفطر يوماً واحداً
ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام ، والأضحى ثلاثة أيام ، ولا بأس أن يأذن
لهم خمسة أيام .

قلت : أفرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض ؟ قال : لا أرى ذلك
يجوز له إلا أن يأذن لهم آباؤهم أو أولياء الصبيان في ذلك ، أو تكون المواضع
قريبة لا يشتغل الصبي في ذلك . وإتعاهد الصبيان هو بنفسه في وقت انقلاب
الصبيان ويخبر أولياءهم أنهم لم يجئوا .

قال : وأحب للمعلم ألا يولى أحداً من الصبيان الضرب ، ولا يجعل لهم
عريقاً منهم إلا أن يكون الصبي الذى قد ختم وعرف القرآن ، وهو مستغن
عن التعليم ، فلا بأس بذلك ، وأن يعينه فان ذلك منفعة للصبي في تخريج
(م - ١٥ تطور الفسکر)

أو يأذن والده في ذلك . ولئيل هو ذلك بنفسه : أو يستأجر من عينه ، إذا كان في مثل كفايته .

ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان

ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه ، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم .

قلت : فما يعمل الناس من « الأفلام » (١) عند الختم ، ومن الفاكحة يرمى بها على الناس هل محل ؟ قال : لا يحل لأنه نهبه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام النهبه .

قال وليلزم المعلم الاجتهاد وليتفرغ لهم ، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز ، إلا فيما لا بد له منه ممن يلزمه النظر في أمره لأنه أجبر لا يدع عمله ولا يتبع الجنائز ولا عيادة المرضى .

وينبغي له أن يجعل لهم وقتاً يعلمهم فيه الكتاب ، ويجعلهم يتجاوزون (٢) لأن ذلك مما يصلحهم ويخرجهم ، ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً ، ولا يجوز ثلاثاً ، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه ، ولا يجوز له أن يمنع من طعامه وشرابه إذا أرسل وراءه .

قلت فهل ترى للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو لغيره ؟ قال : أما في وقت فراغه من الصبيان فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس ، مثل أن يأذن لهم في الانقلاب ، وأما ما داموا حوله فلا ، ولا يجوز له ذلك ؛ وكيف يجوز له أن يخرج مما يلزمه النظر فيه لما لا يلزمه ؟ ألا ترى أنه لا يجوز له أن يوكل تعليم بعضهم إلى بعض ، فكيف يشتغل بغيرهم ؟

(١) قوله « الأفلام » — كذا بالأصل — هو إما أن يكون لقضاً منحوتاً من الحروف المفتحة بها سور، البقرة يعنى : ألم ، أو وهو تصحيف عن « الإعلام » وعلى كل حال فقد بطل العمل بهذه المادة في القيروان وفي بقية الديار الإفريقية عموماً ولا ندرى إن كانت جارية و غيرها مما أثبتته إلا — إذ حسن حسنى عبد الوهاب . ونحن لانواقفه على ذلك وللهلها الإعلام نسبة إلى الفلام — الأختار كما وردت في رسالة النابسي .

(٢) قرأها في رسالة النابسي يتخايرون ، وهذه القراءة أليق .

قلت : فيأذن للصبي أن يكتب إل أحد كتاباً ؟ قال لا بأس به وهذا مما يخرج الصبي إذا كتب الرسائل ، وينبغي أن يعلمهم الحساب ، وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه ، وكذلك الشعر ، والغريب ، والعربية ، والخط وجميع النحو ، وهو في ذلك متطوع .

وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له ، والشكل ، والهجاء والخط الحسن ، والقراءة الحسنة ، والتوقيف ، والترتيل ، يلزمه ذلك . ولا بأس أن يعلمهم الشعر مما لا يكون فيه فحش من كلام العرب وأخبارها ، وليس ذلك بواجب عليه .

ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة وهو مقراً نافع ، ولا بأس أن أقرأهم لغیره إذا لم يكن مستبشعاً مثل (يَبْشُرُكَ) و (وَلَدُهُ) و (حَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ) ولكن يقرأها (يَبْشُرُكَ) و (وَلَدُهُ) و (حَرَمٌ عَلَى قَرْيَةٍ) وما أشبه هذا ، وكل ما قرأ به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلى المعلم أن يكسب الدرّة والفلقة ، وليس ذلك على الصبيان . وعليه كراء الحانوت وليس ذلك على الصبيان . وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً مثل يوم الخميس وعشبة الأربعاء ، ويأذن لهم في يوم الجمعة ، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا لم يُعَب ذلك عليهم .

ولا بأس أن يعلمهم الخطب إن أرادوا ، ولا أرى أن يعلمهم ألحان القرآن لأن مالكا قال : لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان ، ولا أرى أن يعلمهم التحبير (١) لأن ذلك داعية إلى الغناء وهو مكروه ، وأن ينهى عن ذلك بأشد النهي . قال ، وقال سخنون : ولقد سئل مالك عن هذه المجالس

(١) التحبير والحير: في اللغة كل نعمة حسنة محسنة (ناج المروس) وفي حديث أبي موسى . لو عدت أذنك تسمع لقراءتي لحيرتها لك تحبيراً ، يريد بين الأصوات وتحزينة (النهاية لابن الأثير ج ١ ص ٢٢٦) [تليق الاستاذ حين حنى عبد الى هاب ، وقراءتنا لهذه اللفظة التحبير ، واخيرة الذين يقرأون القرآن بالألحان].

التي يجتمع فيها للقراءة ، فقال : بدعة ، وأرى للوالى أن ينهأهم عن ذلك ويحس أديهم .

وليعلمهم الأدب فانه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم .
وليجعل الكتاب من الضحى إلى وقت الانقلاب . ولا بأس أن يجعلهم يملئ بعضهم على بعض لأن ذلك منفعة لهم ، وليتفقوا إملأهم . ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة ، حتى يحفظوها باعراها وكتابتها . إلا أن يسهل له الآباء . فان لم يكن لهم آباء وكان لهم أولياء أو وصى ، فان كان دفع أجر المعلم من غير مال الصبي يعطى الأجرة ، لم يجوز أن يسهل للمعلم أن يخرج من السورة حتى يحفظها كما علمت ، وكذلك إن كان الأب يعطى من مال الصبي ، قال وأرى ما يلزم الصبي من مائة المعلم فى ماله إن كان له مال بمترلة كسوته ونفقته .

قلت : فالصبي يدخل عند المعلم وقد قارب الختمة هل له أن يقضى له بالختمة وقد ترك الأول أن يطالبه ؟ فقال : إن كان أخذ عنه من الموضع الذى لا يلزمه الختمة للأول أن لو قام مثل أكثر من الثلث من « يونس » و « هود » ونحو ذلك فالختمة لازمة له ، لأن الأول حينئذ لو قام لم يقض له بشىء ، وأما إن كان دخوله عنده فى وقت لو قام عليه الأول لزمته الختمة لم يقض للداخل عنده بشىء ، وأستحسن إن تطوع لهذا بشىء استحساناً ، وليس مقياس .

قلت : أرايت لو أن والده أخرجه وقال : لا يحتم عندك وقد قارب الختمة ، وإنما كانت الأجرة على شهر ؟ فقال : أفضى عليه بالختمة ثم لا أبالى أخرجه أم تركه قلت فما يقول إن قال : ابنى لا يعلم القرآن ، هل تجب عليه الختمة ؟ فقال : إن أقرأ الصبي القرآن فى المصحف وعرف حروفه وأقام إعرابه ، وجبت للمعلم الختمة . وإن لم يقرأه ظاهراً ، لأنه قل صبي يستظهر القرآن أول مرة . قلت : فاذا كان أخطأ فى قراءة المصحف ؟ فقال : إن كان الشىء اليسير ، والغالب عليه المعرفة ، فلا بأس .

قال سمعون : ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان فى حوائجهم ، وينبغي

للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ويضربهم عليها إذا كانوا بنى عشر . وكذلك قال مالك ، حدثنا عنه عبد الرحمن قال : قال مالك : يضربون عليها بنو عشر ويفرق بينهم في المضاجع ؛ قلت : الذكور والإناث ؟ قال نعم .

قال سحنون : ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة لأن ذلك دينهم ، وعدد كوعها وسجودها والثناء فيها والتكبير وكيف الجلوس والإحرام والسلام ، وما يلزمهم في الصلاة والتشهد والقنوت في الصبح ، فانه من سنة الصلاة ومن واجب حقها الذي لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ، حتى تبضه الله تعالى صلوات الله عليه ورحمته وبركاته . ثم الأئمة بعده على ذلك لم يعلم أحد منهم ترك القنوت في الفجر رغبة عنه ، وهم الراشدون والمهديون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، كلهم على ذلك ، ومن تبعهم رضى الله عنهم أجمعين .

وليتعاهدتهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله ، ويعرفهم عظمتهم وجلاله ، ليكبروا على ذلك ، وإذا أجدب الناس واستسقى بهم الإمام فأحب المعلم أن يخرج بهم من يعرف الصلاة منهم ، وليبتهلوا إلى الله بالدعاء ، ويرغبوا إليه ، فانه بلغنى أن قوم يونس صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه ، لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم فتضرعوا إلى الله بهم .

وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف ، حتى يعلمهم دينهم الذي نعبد الله به ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم . قال : ولا يجوز للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن . ولا الكتاب .

قال : وقال مالك : ولا بأس أن يكتب المعلم الكتاب على غير وضوء ، ولا بأس على الصبي إذا لم يبلغ الحلم ، أن يقرأ في اللوح على غير وضوء ، إذا كان يتعلم ، وكذلك المعلم . ولا يمسه الصبي المصحف إلا على وضوء ،

وليأمرهم بذلك حتى يتعلموه . قال : وليتعلموا الصلاة على الجنائز والدعاء عليها فإنه من دينهم ، وليجعلهم بالسواء في التعليم ، الشريف والوضيع ، وإلا كان خائناً . وسئل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد ، قال : لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعليم قال مالك ولا أرى أن ينام في المسجد ولا يؤكل فيه إلا من ضرورة ، ولا يجد بدا منه مثل : الغريب والمسافر والمحتاج الذي لا يجد موضعاً .

قال محمد : وحدثني سمعون ، عن عبد الله بن نافع ، قال سمعت مالكا يقول : لا أرى لأحد أن يقرأ القرآن وهو مار على الطريق إلا أن يكون متعلماً . ولا أرى أن يقرأ في الحمام .

قال مالك : وإذا مر المعلم بسجدة وهو يقرأها عليه الصبي ، فليس عليه أن يسجد ، لأن الصبي ليس بامام ، إلا أن يكون بالغاً ، فلا بأس أن يسجدها ، فان تركها فلا شيء عليه لأنها ليست بواجبة . وكذلك إذا قرأها هو ، فان شاء سجد ، وإن شاء ترك : ألا ترى أن عمرأ قرأها مرة على المنبر ، فتزل فسجد ، ثم قرأها مرة أخرى ، فلم يسجد فقال : إنها لم تكتب علينا .

قال مالك : وكذلك المرأة إذا قرأت السجدة على الرجل ، لم يسجد الرجل معها ، لأنها ليست بامام . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي قرأ عليه : كنت إماماً ، فلو سجدت سجدت معك .

قال سمعون : وأكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطنهن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لهم .

وسئل سمعون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض في الأذى ؟ فقال : ما أرى هذا من ناحية الحكم ، وإنما على المؤدب أن يؤدبهم إذا آذى بعضهم بعضاً ، وذلك عندي إذا استفاض علم الأذى من الجماعة منهم ، أو كان الاعتراف ، إلا أن يكونوا صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ويعاقب على ذلك ، ولا يجاوز في الأدب كما أعلمتك ، ويأمرهم بالكف عن الأذى ، ويرد ما أخذ بعضهم لبعض ، وليس هو من ناحية القضاء . وكذلك

وكذلك سمعت من غير واحد من أصحابنا ، وقد أجزيت شهادتهم في القتل والجراح فكيف بهذا ؟ والله أعلم .

ما جاء في إجارة اذعلم ومتى نجب

قال محمد : وكتب شجرة بن عيسى إلى سحنون يسأله عن المعلم يستأجر على صبيان يعلمهم فيمرض أحد الصبيان أو يريد أبوه أن يخرج به إلى سفر أو غيره . فقال : إذا استؤجر سنة معلومة فقد لزم آباءهم الإجارة خرجوا أو أقاموا . وإنما تكون الإجارة ما هنا تقضى على حال الصبيان لأن منهم الخفيف والثقيل ، وقد يكون الصبي له المؤنة في تعليمه ومنهم من لا مؤنة على المعلم فيه ، ففي هذا ينظر .

قال : وقال سحنون : انتقض ما ينوب أباه من إجارة في باقى الشرط ولا يلزمه ذلك ، وكذلك إن مات الأب انتقض ما بقى من الإجارة وكان ما بقى في مال الصبي ، قال محمد : مثل الرضاع إذا استأجر الرجل لولده من يرضعه ثم مات الأب أو الصبي ، فإن عبد الرحمن روى عن مالك : أن الإجارة تنتقض ، ويكون ما بقى في مال الصبي إن كان له مال ، ويكون ذلك موروثاً عن الميت ، وإن مات الصبي أخذ الأب باقى الإجارة ، وروى شهب عن مالك أن تلك العطية نفذت للصبي ، فإن مات الأب كانت للصبي ، وإن مات الصبي كان ما بقى موروثاً عن الصبي كأنه ماله ، وكذلك أجرة المعلم مثل هذا ، والله أعلم . قال محمد : وهذا قولى ، وهو القياس .

قال سحنون : وقد سئل بعض علماء الحجاز - منهم ابن دينار وغيره - أن يستأجر المعلم الجماعة وأن يفرض على كل ولد ما ينوبه ، فقال يجوز إذا تراضى بذلك الآباء لأن هذا ضرورة ولا بد للناس منه ، وهو أشبه . وقال : وهو بمنزلة ما لو استأجر رجل عبيدين من رجلين ، لكل واحد عبد ، وإنما ذلك بمنزلة البيع ؛ وعبد الرحمن لا يجوز هذه الإجارة ، لأنه لا يجوز ذلك في البيع . والله أعلم .

قال : ولا بأس للمعلم أن يشتري لنفسه ما يصلحه من حوائجه إذا لم يجد

من يكفيه . ولا بأس أن ينظر في العلم في الأوقات التي يستغنى الصبيان عنه ، مثل أن يصيروا إلى الكتاب وإملاء بعضهم على بعض ، إذا كان ذلك منفعة لهم ، فإن هذا قد سهل فيه بعض أصحابنا .

وسئل مالك عن المعلم يجعل للصبيان عريفاً ، فقال : إن كان مثله في نفاذه ، فقد سهل في ذلك إذا كان للصبي في ذلك منفعة . وسمعته يقول : تنازع المغيرة ابن شعبة وابن دينار — وكلاهما من علماء الحجاز — عن صبي يختم القرآن عند المعلم فيقول الأب : إنه لا يحفظ ، فقال المغيرة : إذا كان أخذ القرآن كله عنده وقرأه الصبي كله نظراً في المصحف وأقام حروفه ، فإن أخطأ منه اليسير الذي لا بد منه مثل الحروف ونحوها : فقد وجبت للمعلم الختمة ، وهو على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وهو الذي أحفظ من قول مالك .

وقال ابن دينار : سمعت مالكا يقول : تجب للمعلم الختمة على قدر يسر الرجل وعسره ، يجتهد في ذلك ولي النظر للمسلمين .

وأرى أنه إذا تنازع الأب والمعلم في الصبي ، أنه لا يعلم القرآن ، فانه إذا قرأ منه نظراً من الموضع الذي لو كان أخذه عنده مفرداً وجبت له الختمة ، قضيت له بها ، ولا أبالي ألا يقرأ غير ذلك ، لأنه لو لم يأخذه عنده ، لم يسأل هذا المعلم عنه . وأجمعوا جميعاً على أنه إذا أخذ عنده الثلث إلى سورة البقرة أن الختمة واجبة ، إذا عرف أن يقرأه كما وصفت لك ، ولا يسأل عن غير ذلك مما لم يكن أخذه عنده .

وسئل عن المعلم يستأجر على تعليم الصبيان فيموت ، فقال : إذا مات انفسخت الإجارة ، وكذلك إذا مات أحد الصبيان انفسخ من الإجارة بقدر ما بقى من إجارة مثل الصبي ، وقد قيل إن الإجارة لا تنفسخ . وأن على المعلم فيما له مقاصة في التعليم ، وعلى أب الصبي أن يأتي بمن يعلمه المعلم تمام السنة ، وإلا كانت له الإجارة كاملة .

قال محمد : الأول كلام عبد الرحمن وعليه العمل ، وإنما ذلك بمنزلة الراحلة بعينها ، إذا هلكت انسخ الكراء ولا يجوز أن يأتي بمثلها ، ولا يشترط عليه ذلك : والله أعلم .

وسمعه يقول : قال أصحابنا جميعاً - مالك والمغيرة وغيرهما - تجب للمعلم الختمة ولو استؤجر شهراً شهراً أو على تعليم القرآن بأجر معلوم ولا يجب له غير ذلك . وقالوا : إذا استظهر الصبي القرآن كله كان له أكثر في العطية للمعلم من إذا قرأه نظراً ، وإذا لم يتبح الصبي ما يملئ عليه ، ولا يفهم حروف القرآن لم يعط للمعلم شيئاً ، وأدب المعلم ومنع من التعليم إذا عرف بهذا ، وظهر تفريطه .

ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابها

قال سحنون : قلت لابن القاسم : رأيت المصحف أصبح أن يستاجر ليقراً فيه ؟ فقال : لا بأس به لأن مالكا قال : لا بأس ببيعه . ابن وهب عن ابن لبيعة ويحيى بن أيوب عن عمارة بن عرفة عن ربيعة قال : لا بأس ببيع المصحف ، وإنما يباع الخبر والورق والعمل .

ابن وهب عن عبد الجبار بن عمر أن ابن مصباح كان يكتب المصاحف في ذلك الزمان وبيعها . أحسبه قال في زمن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ولا ينكر عليه أحد ؛ ولا رأيت أحداً بالمدينة ينكر ذلك . قال : وكلهم لا يرون به بأساً .

قال : ولا أرى أن تجوز إجارة كتب الفقه لأن مالكا كره بيعها ، لأن فيه اختلاف العلماء : قوم يجيزون ما يبطل قوم . قلت : فقد أجزتم إجارة الحر وهو لا يحل بيعه ، فكيف لا تجيزون إجارة كتب الفقه ؟ فقال : لأن إجارة في الحر معلومة : خلدته تملك . وإنما في كتب الفقه القراءة ، والقراءة لا تملك .

قال محمد : لا أرى بأساً بإجارتها وبيعها إذا علم من استأجرها واشتراها . قال محمد : لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم أولاده القرآن .

بأجرة إلى أجل معلوم ، أو كل شهر . وكذلك نصف القرآن أو ربهه أو ما سُمِّيَا منه . قال : وإذا استأجر الرجل معلماً على صبيان معلومين ، جاز للمعلم أن يعلم معهم غيرهم إذا كان لا يشغله ذلك على تعليم هؤلاء الذين استؤجر لهم . قال : وإذا استؤجر المعلم على صبيان معلمين سنة ، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم . وإذا قيل للمعلم عَلِّمْ هذا الوصيف ولك نصفه لم يجز ذلك . قال : وإذا أدب المعلم الصبي الذي يجوز له فأخطأ ، ففقاً عينه ، أو أصابه فقتله ، كانت على المعلم الكفارة في القتل ، والدية على العاقلة إذا جاوز الأدب ، وإذا لم يجاوز الأدب ، وفعل ما يجوز له ، فلا دية عليه وإنما يضمن العاقلة من ذلك ما يبلغ الثلث . وما لم يبلغ الثلث ففى ماله .

قال : ولا بأس بالرجل يستأجر الرجل أن يعلم ولده الخط والهجاء ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفادى بالرجل يعلم الخط . قال : ولا أرى أن يجوز بيع كتب الشعر ولا النحو ولا أشباه ذلك ، ولا يجوز إجارة من يعلم ذلك . قال مالك : ولا أرى إجارة من يعلم الفقه والفرائض . قال : وقال سحنون . وإذا ضرب المعلم الصبي بما يجوز له أن يضر به إذا كان مثله يقوى على مثل ذلك فمات أو أصابه بلاء ، لم يكن على المعلم شيء غير الكفارة إن مات ، وإن جاوز الأدب ضمن الدية في ماله مع الأدب ، وقد قيل على العاقلة مع الكفارة . فإن جاوز الأدب ففرض الصبي من ذلك فمات . فإن كان جاوز ما يعلم أنه أراد به القتل أقسموا وقتله به الأولياء ، وإن كان لم يجاوز ما يرى أنه أراد به القتل إلا على وجه الأدب ، إلا أنه جهل الأدب ، أقسم واستحقوا الدية قبل العاقلة ، وعليه هو الكفارة . فإن كان المعلم لم يل الفعل وإنما وليه غيره ، كان الأمر على ما فسرت لك ، ولا شيء على المأمور ؛ وإن كان بالغاً ، فمن أصحابنا من رأى الدية على عاقلة وعليه الكفارة ، ومنهم من رأى الدية على عاقلة المعلم ، وعلى الفاعل الكفارة . والله أعلم : قال : وسمعت سحنون يقول : لا أرى للمعلم أن يعلم أبا جاد وأرى أن يتقدم

للمعلمين في ذلك ؛ وقد سمعت حفص بن غياث يحدث أن أبا جاد أسماء
ألفوها على ألسنة العرب في الجاهلية فكتبوها : قال : وسمعت بعض أهل
العلم يزعم أنها أسماء ولد سابور ملك فارس أمر العرب الذين كانوا في طاعته
أن يكتبوها ، فلا أرى لأحد أن يكتبها ، فإن ذلك حرام ؛ وقد أخبرني
سخون بن سعيد ، عن عبد الله بن وهب ، عن يحيى بن أيوب ، عن عبد
الله ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قوم
ينظرون في النجوم يكتبون « أبا جاد » أولئك لا خلاق لهم .

قال : وسئل مالك عن معلم ضرب صبياً ففقأ عينه ، أو كسر يده فقال :
إن ضرب بالمدرة على الأدب وأصابه بعودها فكسر يده ، أو فقأ عينه .
فالدية على العاقلة إذا عمل ما يجوز له ، فإن مات الصبي فالدية على العاقلة
بتسامة وعليه الكفارة . وإن ضربه باللوح أو بعضاً فقتله فعليه القصاص ،
لأنه لم يؤذن له أن يضربه بعضاً ولا بلوح .

قلت : روى بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة على تعليم الفقه
والفرائض والشعر والنحو وهو مثل القرآن ، فقال : كره ذلك مالك وأصحابنا .
وكيف يشبه القرآن والقرآن له غاية ينتهى إليها ، وما ذكرت ليس له غاية
ينتهى إليها ، فهذا مجهول ، والفقه والعلم أمر قد اختلف فيه ، والقرآن هو
الحق الذى لا شك فيه . والفقه لا يستظهر مثل القرآن فهو لا يشبهه ، ولا
غاية له ، ولا أمد ينتهى إليه .

كمل كتاب « آداب المعلمين » محمد بن سخون عن أبيه رضى الله عنهما
كتبه لنفسه عبيد الله ، الراجى سعة فضل الله ورحمته ، محمد ابن محمد
ابن محمد بن أحمد البرى المرادى غفر الله له ولوالديه .

القابسي

هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القروي المعروف بابن القابسي ، ويقال إنه علي بن محمد بن خلف ، الإمام أبو الحسن المعافري القروي القابسي المالكي .

ويقال إن أصل بلدته « المعافرين » وهي قرية بالقرب من قابس . وقد اشتهر في الكتب بالقابسي نسبة إلى قابس القريبة من القيروان وهي بلد بالمغرب بين طرابلس الغرب وسفاقس . وقد ولد القابسي عام ٣٢٤ هـ الموافق ٩٣٥ م وكان القابسي عالماً عاملاً ، جمع العلم والعبادة ، والورع والزهد ، والإشفاق والخشية ، ورقة القلب ، ونزاهة النفس ، ومحبة الفقراء ، حافظاً لكتاب الله ومعانيه وأحكامه ...

وقد ألف القابسي الكثير من الكتب وإن كان الرأى الغالب أنها تسعة هي :

- كتاب الممهّد في الفقه وأحكام الديانة .
- كتاب المبعّد من شبه التّأويل .
- كتاب المنبه للفظن عن غوائل الفنّ .
- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلّمين والمعلّمين .
- كتاب الاعتقادات .
- كتاب مناسك الحج .
- كتاب ملخص الموطأ .
- الرسالة الناصرية في الرد على البكرية .
- كتاب الذكر والدعاء .

ويهمنا في المقام الأول مما كتب القابسي رسالته عن أحوال المتعلّمين والمعلّمين وهي تبحث في شؤون التعلّم الخاصة بالصبيان فقط . وهو يتكلم

أيضاً عن الكُتُاب حيث يتعلم الصبية ، ولكنه لم يحدد بالضبط متى يلتحق الصبيان بالكتاب ومتى يتخرجون فيه . ولم يتعرض القابسي للتعليم فيما قبل مرحلة الكتاب أو بعدها .

وقد قصر القابسي غرض التعليم على الجانب الديني ، ويظهر أن ما كتبه عن التعليم في الكتابين وللصبيان فقط كان يحتم التركيز أساساً على الدين والقراءة والكتابة (وهما في خدمة التعليم الديني) . إذ رأى القابسي أن البواعث يجب أن تكون دينية فيتبع الفرد ما جاء عن الله والرسول . وهنا يظهر وجوب وأهمية التعليم لأن يبصر المسلمون بأسباب الدوافع المحركة للإرادة على اختيار الأفعال . ولا بد أن ينتهي الأمر بالفرد إذا استغرق في الحياة الدينية ، أن يتصور منازعه صادرة عن الدين ، وأن يوزع أعماله بين الحلال والحرام ويفرق بينهما . فاذا بدأ الصبي الصغير حفظ القرآن ومعرفة تعاليم الدين ، اختلطت هذه التعاليم بشخصيته كلما نما وبلغ مبلغ الرجولة . فتتحد البواعث الدينية في نفسه مع الزمن مع البواعث الشخصية . فراجع البواعث إلى الدين ، وإلى القرآن .

بل أن القابسي نشد من الأخلاق الغاية الدينية ، والسعادة في اندار الآخرة وهو في نفس الوقت لا يرى بأساً في طلب غايات دنيوية ، لأن الدين أقرها . ومن الغايات الدنيوية التي يحققها الوالد من تعليم ابنه ، أن يكون به سعيداً ، أو كما يقول القابسي : « فن رغب إلى ربه أن يجعل له من ذريته قرّة عين ، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن » . أما الغاية الأصلية فهي رضا الله : « فلعل الوالد إذا أنفق ماله عليه في تعليمه القرآن ، أن يكون من السابقين بالخيرات باذن الله » .

ويطلب القابسي العلم بالفضائل أو لا كهاده للسلوك الخلقى القويم ، ويرى أن يستمد هذا العلم من القرآن الكريم والسنة ، وكلاهما غني بالفضائل ومكارم الأخلاق . وينتظر من الصبيان السلون القويم فإذا حاد أحدهم عن جادة الصواب في القول أو الفعل فيخضع لعقوبة الضرب . ولكن القابسي أحاط

الضرب بسياج من الشروط حتى لا نخرج من الزجر والإصلاح إلى التشفى والانتقام ، فيقول :

- ١ - ألا يوقع المعلم الضرب إلا على ذنب .
- ٢ - أن يوقع المعلم الضرب « بقدر الاستئمال الواجب في ذلك الجرم » .
- ٣ - أن يكون الضرب من واحدة إلى ثلاث ، ويستأذن القائم بأمر الصبي في الزيادة إلى عشر ضربات .
- ٤ - أن يزداد على العشر ضربات إذا كان الصبي « يناهز الاحتلام ، سبيء الرعية ، غليظ الخلق ، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه » .
- ٥ - أن يقوم المعلم بضرب الصبيان بنفسه ، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الصبيان « الذين تجرى بينهم الحمية والمنازعة » .
- ٦ - أن صفة الضرب ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر .

- ٧ - أن مكان الضرب في الرجلين « فهو آمن وأحمل للألم في سلامة » . وليتجنب رأس الصبي أو وجهه ، إذ قد يوهن الدماغ أو تطرف العين .
- ٨ - أن آلة الضرب هي الدرة أو الفلقة ، « وينبغي أن يكون عود الدرة رطباً مأموناً » .

فالعقاب للزجر لا للانتقام وهو ممزوج بالعطف ، إذ ينزل القابسي المعلم من الصبيان منزلة الوالد ، فهو يوجه ويزجر ويعاقب في تعاطف حتى يأخذ بيد الصبيان إلى طريق الخير ، وهو طريق لا يدرك بالبديهة ولكن بالرياضة والتعليم .

أما عن المنهج الذي يتعلمه الصبيان ، ففي رأى القابسي أن القرآن أول ما ينبغي أن يدرسه ، بل هو المحور الذي يدور عليه التعليم في الكتابيب . والقرآن مرجع العبادات ومصدر الخلق الكريم ، وله فضائل عديدة ، فيقول النبي عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . ويشترط القابسي في تعلم القرآن حسن الترتيل ، وجودة القراءة ، وصحة الوقف ، والأخذ عن

مقرىء حسن ، ثم هو ينصح بقراءة نافع .

ويرى القابسي أن تعليم الصلاة فرض عين بل « ينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة ، حتى يعلمهم دينهم ، الذى هو تعبدهم الله عز وجل وسنة نبيهم » . ثم يتعلم الصبيان اللغة العربية لفهم معانى القرآن والنحو لإعراب الكلمات إعراباً صحيحاً حتى يميز الصبيان المعانى ويعرفوا أغراض المتكلمين . فالنحو والعربية والخط من « معانى التقوية على القرآن ، وتعليمها واجب على المعلم ، كما نقل القابسي عن ابن محنون : « إنه ينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن ، ذلك لازم له ، والشكل والهجاء والخط الحسن » .

وكانت هذه هى العلوم الإجبارية أما الاختيارية فهى الحساب والشعر وأيام العرب وما أشبه ذلك من علم الرجال وذوى المروءات ، وجميع النحو والعربية .

وكان القابسي يعتبر الأسبوع وحدة تعليم من صباح السبت إلى عصر الخميس ، يراقب فيها المعلم أعمال الصبيان ، ويقف عند آخر الأسبوع وقفة قصيرة ليرى مبلغ ما حصلوا (١) . ويدرس الصبي خلال الأسبوع القراءة والكتابة وسائر العلوم الأخرى . وتوزع هذه العلوم فى اليوم المدرسى على النحو التالى :

(أ) القرآن فى أول النهار حتى الضحى .

(ب) يتعلم الصبيان الكتابة من الضحى حتى الظهر .

(ج) يذهب الصبيان إلى بيوتهم لتناول طعام الغذاء ويعودون إلى الكتا بعد صلاة الظهر .

(د) تدرس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر وأيام العرب والحساب من بعد الظهر إلى آخر اليوم المدرسى أى بعد العصر .

(١) أحمد فؤاد الأهواني : التربية فى الإسلام س : ١٨٣ - ١٨٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم
من الجزء الثالث من الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين
قال أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف ، المعافى القاسبي
الفيقيه القبرواني

ذكر ما أراد بيانه من سياسة معلم الصبيان (١)

وقيامه عليهم ، وعدله فيهم ، ورفقه بهم ، وهل يستعين بهم فيما بينهم ،
أو لنفسه ، وهل يوليهم غيره إن احتاج إلى ذلك ، وهل يشتغل مع غيره
معهم أو يشتغل له ، وكيف يرتب لهم أوقاتهم لدرسهم ، وكتابتهم ، وكيف
محوهم ألواحهم ، وأكتافهم ، وأوقات بطالتهم لراحاتهم ، وحد أدبه إياهم ،
وعلى من الآلة التي بها يؤدبهم ، والمكان الذي فيه يعلمهم ، وهل يكون
ذلك في مسجد ، وهل يشترك معلمان أو أكثر ، وهل يدرس الصبيان في
حزب واحد مجتمعين ، وهل يمسون المصحف وهم على غير طهر ، ويعملون
الوضوء لمس المصحف ، ويصلون في جماعة يؤمهم أحدهم .

قال أبو الحسن : قد تقدم من بيان (٥٣ - أ) ما نخبره (٢) الشرط لمعلم
الصبيان على آبائهم من إجازتهم ، وما على المعلمين أن يعلموه الصبيان ،
وما لا ينبغي أن يعلموه لهم ما فيه الكفاية . فالواجب على المعلم الاجتهاد حتى
يوفي ما يجب عليه للصبيان ، فإن وفى ذلك يطيب له ما يأخذه على التعميم
بشرط . وليعلم أنه إن فرط في وفاء ما عليه ، أنه لا يجب له ولا يطيب له
ما يأخذ من ذلك ، لأن الذين أجازوا له شرط الإجازة ، بينوا له ما يجب عليه
فإن خالف ما بينوا له لم يطيبوا له ما أخذ بشرطه . فليس يجد إلى من يستند
من العلماء في جواز ما فعل من التفريط ، لما في الأخذ على تعليم القرآن من
الخلافة الذي قدمنا التعريض به ، وبعد . فإن التزامه لما التزم من هذا يدخل
في العقود التي أمر الله سبحانه بوفائها ، ونظره فيمن التزم له من الصبيان
رعاية يدخل بها في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (٥٣ - ب) كلكم راع

(١) النسب والشرح من أحمد فؤاد الأهواني : التعمية في الإسلام

(٢) في صحيح البخاري .

وكل راع مسئول عن رعيته (١) . وليعلم أنه إن قام فيهم بالواجب عليه لهم ونصح لهم ، ووفاهم كما ينبغي أنه يخل في معنى قول الرسول عليه السلام :
أيما مملوك أدى حق مواله ، وحق ربه ، فله أجران (٢) . لأن المملوك استأهل ذلك بما وفي به مما وجب عليه للملكه . هذا وليعلم الملتزم الصبيان إنما استأهل ذلك بما زفي به ما وجب لهم عليه ، بشرطه أخذ الإجارة عليهم ، قد ملكوا منافعه وتصرفاته حتى يستوفوا واجبه ، وكان لمن وفاهم ذلك تأدية لحقهم الواجب لهم عليه ، ولحق ربه فيما أمره به من أداء ما عليه لهم ، في المعنى الذي استأهل به المملوك أجرين . وكذلك كل أجير ملكت عليه منافعه ، لأن المؤدى لما عليه طيبة بذلك نفسه من المحسنين . وقال الله سبحانه وتعالى :
(إننا لا ننصع أجر من (٥٤ - ١ أحسن عملاً (٣)) .

ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقاً ، فانه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فيه فارفق به (٣) . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الرفق في الأمر كله ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء (٤) .

قال أبو الحسن : فقولك هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان ، أو ترى أن يرفق بهم ولا يكون عبوساً ، لأن الأطفال كما علمت تدخل في هذه الوصية المتقدمة ، ولكن إذا أحسن المعلم القيام ، وعنى بالرعاية ، وضع الأمور مواضعها ، لأنه هو المأخوذ بأدبهم ، والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم ، والقائم باكراههم على مثل منافعهم ، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم ، ولا يخرجهم ذلك من حسن رفقهم بهم ، ولا من رحمته إياهم (٥٤ - ب)

(١) في صحيح البخارى ،

(٢) سورة الكهف بمض آية ٣٠ :

(٣) في صحيح البخارى

(٤) في صحيح البخارى

فإنما هو لهم عوض من آباؤهم . فكونه عبوساً أبداً من الفظاظة الممقوتة ، ويستأنس الصبيان بها فيجرثون عليه ، ولكنه إذ استعملها عند استئهاهم الأدب ، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم ، فلم يأنسوا إليها ، فيكون فيها إذا استعملت أبداً لهم في بعض الأحيان دون الضرب ، وفي بعض الأحيان ، يوقع الضرب معها ، بقدر الاستئها الواجب في ذلك الجرم . ولكن ينبغي له ألا يتبسط إليهم تبسط الاستئناس في غير تقبض موحش في كل الأحيان ، ولا يضحك أحداً منهم على حال ، ولا يبتسم في وجهه ، وإن أرضاه وأرجاه (١) على ما يجب ، ولكنه لا يغضب عليه فيوحشه إذا كان محسناً .

وإذا استأهل الضرب فاعلم أن الضرب من واحدة إلى ثلاث ، فليستعمل اجتهاده لثلاث يزيد في (٥٥ - أ) رتبة فوق استئهاها . وهذا هو أدبه إذا فرط ، فتناقل عن الإقبال على المعلم ، فتباطأ في حفظه ، أو أكثر الخطأ في حربه ، أو في كتابة لوحه ، من نقص حروفه ، وسوء تهجيته ، وقبح شكله ، وغلطه في نقطه ، فبه مرة بعد مرة ، فأكثر التغافل ولم يغن فيه الغذل ، والتفريع بالكلام ، الذي فيه التواعد من غير أشتم ولا سب لعرض ، كقول من لا يعرف لأطفال المؤمنين حقاً فيقول : يا مسيخ ، يا قرد . فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح ، فان قلت له واحدة ، فلتستغفر الله منها ولتنته عن معاودتها . وإنما تجرى الألفاظ القبيحة من لسان التقى تمكن الغضب من نفسه ، وليس هذا مكان الغضب . وقد نهى الرسول عليه السلام أن يقضى القاضي وهو غضبان . وأمر عمر بن عبد العزيز - (٥٥ - ب) رحمه الله عليه - بضرب إنسان ، فلما أقيم للضرب قال : اتركوه . فقيل له في ذلك فقال : وجدت في نفسي عليه غضباً ، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان . قال أبو الحسن : كذا ينبغي للمعلم الأطفال أن يراعى منهم حتى يخلص أديهم لمنافعهم ، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه ، ولا شيء يريح قلبه من غيظه ، فان ذلك إن أصابه فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه ، وهذا ليس من العدل . فان اكتسب

الصبي جرماً من أذى ، ولعب ، وهروب من الكتاب ، وإدمان البطالة فينبغي للمعلم أن يستشير أباه ، أو وصيه إن كان يتقياً ، ويعلمه إذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث ، فتكون الزيادة على ما يوجهه التقصير في التعليم عن إذن القائم بأمر (٥٦ - ب) هذا الصبي ؛ ثم يراد على الثلاث ما بينه وبين العشر ، إذا كان الصبي يطبق ذلك . وصفة الضرب هو ما يؤثم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع ، أو الوهن المضر . وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام ، ويكون سيء الرعية (١) ، غليظ الخلق ، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه ، ويرى للزيادة عليه مكاناً ، وفيه محتمل مأمون ، فلا بأس - إن شاء الله - من الزيادة على العشر ضربات ، والله يعلم المفسد من المصلح . وإنما هي أعراض المسلمين وأبشارهم فلا يتهاون بنيلها بغير الحق الواجب ؛ وليل أدمهم بنفسه ، فقد أحب سحنون ألا يولى أحداً من الصبيان الضرب . قال أبو الحسن : ونعم ما أحب سحنون من ذلك ، من قبل أن الصبيان تجرى بينهم الحمية والمنازعة ، فقد (٥٦ - ب) يتجاوز الصبي المطبق فما يؤثم المضروب ، فإن أمن المعلم التقى من ذلك ، وعلم أن المتولى للضرب لا يتجاوز فيه ، وسعه ذلك إن كان له عندر في تخلفه عن ولاية ذلك بنفسه . وليتجنب أن يضرب رأس الصبي أو وجهه ، فإن سحنون قال فيه : لا يجوز له أن يضربه فيهما ، وضرر الضرب فيهما بين ، قد يوهن الدماغ ، أو تطرف العين أو يؤثر أثراً قبيحاً ، فليجتنبها . فالضرب في الرجلين آمن ، وأحمل للألم في سلامة .

ومن رفقه بالصبيان أن الصبي إذا أرسل وراءه ليتغذى فيأذن له ولا يمنعه من طعامه وشرابه ، ويأخذ عليه في سرعة الرجوع إذا فرغ من طعامه .

ومن حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم ، ولا يفضل بعضهم على بعض ، وإن تفاضلوا في الجعل ، وإن كان بعضهم يكرمه بالهدايا والأرفاق ، إلا أن (٥٧ - أ) يفضل من أحب تفضيله في ساعة راحاته ، بعد تفرغه من العدل بينهم . واذلك من قبيل أن القليل الجعل إنما رضى أن يؤدي أداءه ذلك على إتمام

تعليم ولده ، كما شرط الرفيع الجعل . إلا أن بين المعلم لآباء الصبيان أنه يفاضل بينهم على قدر ما يصل إليه من العطاء من كل واحد منهم ، فيرضوا له بذلك ، فيجوز له ، وعليه أن يفى بما التزم من قدر ذلك .

ومن صلاحهم ، ومن حسن النظر لهم ، ألا يخلط بين الذكران والإناث ، وقد قال سخنون : أكره للمعلم أن يعلم الجوارى ، ويخلطهن مع الغلمان ، لأن ذلك فساد لهن .

قال أبو الحسن : وإنه لينبغي للمعلم أن يحترس الصبيان بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يخشى فساده ، يناهز الاحتلام ، أو يكون له جرأة . وعليه كما قال سخنون : أن يتفقدتهم بالتعليم (٥٧ - ب) والعرض ، ويجعل لعرض القرآن وقتاً معلوماً ، مثل عشية الأربعاء ويوم الخميس . قال : فينبغي له أن يجعل لهم وقتاً من النهار يعلمهم فيه الكتاب ، ويجعلهم يتخايرون (١) لأن ذلك مما يصلحهم ، ويخرجهم ويبيح لهم أدب بعضهم بعضاً ، ولا يجاوز ثلاثاً . ويجعل الكتاب ، ويعنى في كل يوم من الضحى إلى وقت الانقلاب .

ويأخذ عليهم ألا يؤذى بعضهم بعضاً ، فان شكوا بعضهم أذى بعض ، فقد سئل سخنون عن المعلم يأخذ الصبيان بقول بعضهم على بعض في الأذى قال : ما أرى هذا من ناحية الحكم ، وإنما على المعلم أن يؤدبهم إذا أذى بعضهم بعضاً . وذلك عندي إذا استفاض على الإيذاء من الجماعة منهم ، أو كان الاعتراف ، إلا أن يكونوا صبياناً قد عرفهم بالصدق فيقبل قولهم ، ويعاقب على ذلك ، ولا يجوز (٢) في الأدب (٥٨ - أ) كما أعملتك . قال أبو الحسن : يريد كما تقدم من واحدة إلى ثلاث ؛ فان استأهلوا الزيادة للأذى فعلى قدر شدة ذلك ، يريد من الثلاث إلى العشر ، ويأمرهم بالكف عن

(١) خارته على صاحبه خيراً فضله ، والخييار اسم من الاختيار ، وخايره فخاره خيراً كان منه (السان) وخايره في حظ مخابرة غلبه ، وتخايروا في الحظ وغيره إلى حكم نخاره كان خيراً منه .

(٢) أى يعمد .

الأذى ، ويرد ما أخذ بعضهم لبعض ؛ وليس هو من ناحية القضية ، وكذلك سمعت من غير واحد من أصحابنا . وقد أجزت شهادة الصبيان في القتل والجراح ، فكيف هذا ؟ والله أعلم . قال أبو الحسن : وما يوجد في الفصل الذي تقدم أسعد (١) به من كلام سخنون ، هذا وتعلم به أن على المعلم أن تتعاملهم ، ويتحفظ منهم ، وينهاهم عن الربا ، فإن باع بعضهم من بعض كسرة بزيب ، أو زيبياً برمان ، أو تفاحاً بقاء ، كما ذكرت ، فإن أدرك ذلك بأيديهم ، رد كل واحد ما كان له ، وإن أفاتوه ، أعلم آباءهم بما صنعوا من ذلك فيكون غرم (٥٨ - ب) ما صار إلى كل واحد من الصبيان من صاحبه ، في ماله إن كان له مال ، أو يتبعه به إن لم يكن له مال ، وإذا وقع الاستقضاء في ذلك . وإن كان إنما أسلم بعضهم إلى بعض طعاماً في طعام ، فيغرم القابض مثل ما قبض ، أو قيمته إن لم يكن له مثل إن كان له مال . وإلا فليتبع بما وجب عليه من ذلك ، ويفسخ ما كان بينهما ؛ ثم يأخذ عليهم المعلم ، ويشدد عليهم في الأخذ ألا يعودوا إلى التباع فيما بينهم ، لا فيما يحل بين الأكابر ، ولا فيما لا يحل . ويعرفهم وجه الربا فيما صنعوا على ذلك : يخبره بعينه ، ويقبحه عنده ، ويتواعده بشدة العقوبة عليه إن هو عاوده ، ليتدرج على مجانية الخطأ ، وإذا هو أحسن ، يقبضه بإحسانه في غير انبساط إليه ، ولا منافرة له ، ليعرف وجه الحسن من القبح ، فيتدرج على اختيار الحسن (٥٩ - أ) وهذا ما يدل الاجتهاد . والله يزكى من يشاء ، وهو السميع العليم .

ومن الاجتهاد للصبي ألا ينقله من سورة حتى يحفظها بإعرابها وكتابها . قال سخنون : إلا أن يسهل لهم الآباء ، فإن لم يكن لهم آباء وكان لهم أولياء أو وصى ، فإن كان دفع أجر المعلم من غير مال الصبي إنما هو من عندهم ، فلمهم أن يسهلوا كما للأب ؛ وإن كان من مال الصبي الأجر لهم أن يسهلوا حتى يحفظها كما أعلمتكم . قال : وكذلك إذا كان الأب يعطى من مال الصبي .

(١) كذا بالأصل ، ولعلها ابتعد .

قال : وأرى ما يلزم الصبي من مئونة المعلم في ماله إن كان له مال يمتزلة كسوته ونفقته .

قال أبو الحسن : صواب . ولكن قوله إن كان ما يأخذ المعلم من غير مال الصبي ، أن لأبيه أو من قام له أن يسهل للمعلم في نقله من السورة قبل (٥٩ - ب) تمامها ، ما أدري ما وجه العطاء للمعلم على الصبي . إنما كان على حسن العناية بالصبي فقد صار الحق للصبي فمن أين لأحد أن يسهل فيه ، إلا أن يكون مراد سخنون - رحمه الله - أن للصبي التسهيل في ذلك وقع عند عقد الإجارة ، فيكون صواباً في الجواب ، والأحسن ما هو أتم للصبي .

وأما ما يصنعه الصبيان من محو ألواحهم وأكتافهم ، فذكر ابن سخنون فية عن أنس بن مالك باسناد ليس هو من رواية سخنون ، قال : إذا محت صبية الكتاب تنزير رب العالمين بأرجلهم ، نبذ المعلم لإسلامه خلف طهره ، ثم لم يبال حين يلقي الله على ما يلقاه عليه . قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم ؟ قال أنس : كان المؤدب له إنجانة (١) وكل صبي يحىء كل يوم بنوبته ماء (٦٠ - أ) طاهراً فيصبه فيها ، فيمحون به ألواحهم . قال أنس : ثم يحفرون له في أحفرة الأرض ، فيصبون ذلك الماء فينشف ، قال محمد : قلت لسخنون فترى أن يلعط ؟ قال لا بأس به ، ولا يمسح بالرجل ، ويمسح بالمنديل وما أشبهه . قلت له فما تقول فيما يكتب الصبيان في الكتف من الرسائل ، فقال : أما ما كان من ذكر الله تعالى ، فلا يمسحه برجله ، ولا بأس أن يمحى غير ذلك مما ليس من القرآن . وقال محمد : وحدثني موسى عن جابر بن منصور ، قال : كان إبراهيم النخعي يقول : من المروءة أن يرى في ثوب الرجل وشفته مداد قال محمد : وفي هذا دليل أنه لا بأس أن يلعط الكتاب بلسان . وكان سخنون ربما كتب الشيء ثم يلعطه : وهذا الوصف يكفيك فيما سألت عنه من هذا المعنى

(١) الإجانة والإنجانة .. وأفصحها إجانة واحدة الأجاجين ، وهي بالفارسية . إكاته قال الجوهري : ولا تقل إنجانة (لسان العرب) والإنجانة قصة تشبه المعاهرة .

فانه وصف حسن. وما جاء فيه عن أنس من التغليظ ، فينبغي (٦٠ - ب) أن يحذر منه فانه تغليظ شديد على المعلم ، إن هو ترك الصبيان يمحوون القرآن بأرجلهم .

وأما بطلاة الصبيان يوم الجمعة فقال سخنون : يأذن في يوم الجمعة ، وذلك سننة المعلمين منذ كانوا ، لم يعب ذلك عليهم . وذكر أن محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم قال في المعلم يستأجر شهراً ، له أن يتبطل يوم الجمعة ؛ وما كان الناس قد عملوا به ، وجروا عليه فهو كالشرط . وأما تخلية الصبيان يوم الخميس من العصر فهو أيضاً يجرى عرف الناس ، إن كان قد عرف من شأن المعلمين ، فهو كما عرف من شأنهم في يوم الجمعة . فأما بطالتهم يوم الخميس كله ، فهذا بعيد ، إنما دراسة الصبيان أحزابهم وعرضهم إياه على معلمهم في عشي يوم الأربعاء ، وغدو يوم الخميس ، إلى وقت الكتابة ، والتخاير إلى قبل انقلابهم نصف (٦١ - أ) النهار . ثم يعودون بعد صلاة الظهر للكتاب ، والخيار إلى صلاة العصر ، ثم ينصرفون إلى يوم السبت يبكرون فيه إلى معلمهم . وهذا حسن نافع رفيق بالصبيان وبالمعلمين لا شطط فيه . وكذلك بطلاة الأعياد أيضاً على العرف المشتهر المتواطأ عليه . وقال ابن سخنون لأبيه ؛ أكم ترى أن يأذن لهم في الأعياد ؟ فقال : الفطر يوماً واحداً ، ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام ؛ والأضحى ثلاثة أيام ، ولا بأس أن يأذنهم خمسة أيام . قال أبو الحسن : يريد ثلاثة أيام في الفطر ، يوماً قبل العيد ، ويوم العيد ، فيوم ثانيه . وخسة أيام في الأضحى : يوم قبل يوم النحر ، وثلاثة أيام النحر واليوم الرابع وهو آخر أيام التشريق ، ثم يعودون إلى معلمهم في اليوم الخامس من أيام النحر ؛ وهذا وسط في الرفق ؛

وأما بطلاة (٦١ - ب) الصبيان من أجل الختم ، فقليل لسخنون أيضاً : أتري للمعلم في إذنه للصبيان اليوم ونحوه ، قال : ما زال ذلك من عمل الناس

مثل اليوم وبعضه ، ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك إلا باذن آبائهم كلهم ، لأنه أجبر لهم . قيل له : ربما أهدى الصبي إلى المعلم أو أعطاه شيئاً ، فيأذن لهم على ذلك ؟ فقال : إنما الإذن في الختم اليوم ونحوه ، وفي الأعياد ، وأما في غير ذلك فلا يجوز إلا باذن الآباء : قال : ومن ها هنا أسقطت شهادة أكثر المعلمين ، لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم ، إلا ومن عصم الله .

تم الجزء الثاني والحمد لله

إخوان الصفاء (١)

من المرجح أن إخوان الصفاء عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع لهجرى (العاشر الميلادى) . وإخوان الصفاء أوخلان الوفاء أهل العدل وأبناء الخمد - كما يصفون أنفسهم - جماعة سرية عاشت بمدينة البصرة . وقد نجحوا في اتجاههم إلى إخفاء أشخاصهم عن معظم معاصريهم وعن جاءوا بعدهم . وقد أدّى غموضهم إلى التشكك في أغراضهم والتضارب في حقيقة أحوالهم . وهم ينتمون إلى جماعة الفلاسفة ولكنهم تعدوا الاجتهاد في مجال المعرفة إلى الاهتمام بالتربية والتعليم في محاولة ترجمة فكرهم إلى واقع ، فسعوا لإيجاد جماعة من الشباب عالمة خيرة فاضلة ذكية مستبصرة ، وإعدادهم على هذه الصورة ليكونوا رجالا عاملين في « دولة الخير » المنتظرة . وقد توقعوا قرب مجيء هذه الدولة لأن دولة الشر التي يعيشون فيها قد تناهت في فسادها كما تصوروا . وتتميز دولة الخير بأن الحكماء أو الفلاسفة هم الذين يتولون مقاليد الحكم فيها ، وأن قوامها أفراد عقلاء أحرار فضلاء . لهذا قد سعوا جاهدين من أجل إعداد شباب مجتمعهم للحياة في دولة الخير المنتظرة .

وقد سعى إخوان الصفاء إلى تعليم غيرهم وتوسيع نطاق دعوتهم وعدم إكتفائهم بأعضاء جماعتهم المؤسسين لها . وفي سعيهم هذا كانوا مسترشدين بمبادئ الدين الإسلامى - الذى يؤمنون به - التى تؤكد أن المؤمن لا يكتمل له إيمانه حتى يجب لأخيه ما يحبه لنفسه ، بالإضافة إلى ما لم من آراء ترتبط بفلسفتهم وتؤكد على أن النفوس الناجية تزداد سعادتها ولذتها في ملكوت

(١) المادة المليية عن أخوان الصفاء مستمدة من ناديه يوسف إبراهيم جال الدين : فلفة التربية عند أخوان الصفاء . رسالة ماجستير على الآلة الكتابة كلية التربية - جامعة عين شمس .

السماء كلما ازداد عدد المنضمين لها . وفي رأيهم أنه لا بد لتحقيق نجاة النفوس وخلصها من عالم الكون والفساد - أو الحياة الدنيا - من تعاون الخلق بعضهم مع بعض . وكان تعليم علومهم من أبلغ آيات هذا التعاون . وكان الشباب وجهتهم الأساسية، وهم بهذا يختلفون عن سابقهم ولاحقهم من مفكرى المسلمين فى التربية ، وقد رأينا القابسى بهم بتعليم الأطفال والصبيان . ونخبروا من يصلح للانضمام إليهم من الشباب بمواصفات معينة . وهؤلاء يتعلمون ثم يتدرجون فى مراتب حتى تتكشف وتكشف لهم أسرار الجماعة وعلومها المصونة .

وفى رأى إخوان الصفاء أن سن هؤلاء الشباب يبدأ من سن الخامسة عشرة أو بعد ذلك بقليل وأن العملية التربوية عملية متدرجة مستمرة حتى سن الخمسين . وعلى هذا فالمعلم أو الداعية فى جماعتهم يقوم بتعليم غيره وتوجيهه وإعداده بما يتلاءم ومستواه ، وفى نفس الوقت فان هذا المعلم لا ينقطع عن تلقى العلم من هم أعلى منه مرتبة وهكذا .

وقد عبر إخوان الصفاء عن آرائهم واتجاهاتهم فى الرسائل الإثنتين والخمسين ، وهى المعروفة برسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء . وكذلك فى « الرسالة الجامعة » وهى من المصادر الأولية الأساسية الثابت أنها لإخوان الصفاء ، وهى منفصلة عن الرسائل وقيل فى وصفها لأنها تاج رسائل إخوان الصفاء . ولما كان الغرض منها هو البرهان على ما جاء فى الرسائل كما تولوا تفصيل بعض ما أجملوه فى الرسائل ، فقد اشترطوا عدم إعطائها إلا لمن أتم قراءة الرسائل الإثنتين والخمسين . وهناك رسالة تنسب إلى إخوان الصفاء هى « جامعة الجامعة لإخوان الصفاء وخلان الوفاء » ولكن لا يوجد سند تاريخى أو دليل من واقع الرسائل يثبت نسب هذه إلى إخوان الصفاء .

فلسفة إخوان الصفاء :

رأى الإخوان أن الله سبحانه أبدع العالم إبداعاً ، غير أنهم فى محاولتهم لتفسير كيف فاضت الكثرة عن الواحد اتجهوا إلى القول بأن الحدوث ينقسم

إلى : روحاني علوي ، وجسماني سفلي ، ورأوا أن العالم الروحاني العلوي مكون من العقل والنفس الكلية فالجسم المطلق ، فالصور المجردة .

أما العالم الجسماني السفلي فكون من عالم الأفلاك وعالم الكون والفساد (أو ما تحت فلك القمر) ، وكل ما في عالم الكون والفساد مربوط بالعالم العلوي ومتأثر كل التأثير بروحانيات الكواكب ، وكل هذه المخلوقات خاضعة لله ، وفي قبضته ، وعنايته بها لا تنقطع وإن شاء وقبض فيض جوده ، انتهى العالم وكانت القيامة الكبرى .

كذلك الإنسان مكون من جوهرين متباينين ، نفس روحانية شفافة ، وجسد كثيف . والنفس أشرف من الجسد وعلى الإنسان أن يعنى بتطهيرها حتى تعود إلى عالمها الروحاني الذي أمهبطت منه ولا يكون هذا إلا بعد خروجها من الجسد حيث يعتبرون هذا ولادة ثانية لها وأيضاً القيامة الصغرى .

ومع ميلهم إلى القول بأن الإنسان حر مختار في عمله ، ولهذا فهو يثاب ويعاقب ، إلا أنهم مع ذلك قالوا بأن كل شيء على الأرض مرتبط بتأثيرات الكواكب وحركات النجوم ، لا فرق في هذا بين وجود دول وزوالها ، وبين وجود الجنين في رحم أمه وخروجه بأخلاق فطرية (أو مركوزة في جبلته) تؤثر فيه على امتداد وجوده في الحياة حتى القوى العاقلة نفسها فإنها تأتي في سن معينة بدلالة كوكب معين ، وكذلك غيرها من القوى المتدرجة الظهور ، فهذه الآراء لا تتضح إلا في السياق المتكامل للرسائل والرسالة الجامعة ، وهي أيضاً تخالف ما هو سائد في الأمة الإسلامية ويرفضه الدين الإسلامي وإن كان من السهل رده إلى الثقافات الوافدة والشرقية منها خاصة .

ومع اهتمام الإسلام بالعلم والحض على طلبه وتعليمه وجعله فريضه على

كل مسلم إلا أن اخوان الصفاء لم يكتفوا بهذه النظرة الإسلامية ، بل التقطوا من الثقافات الوافدة ما يتلاءم ونظرتهم إلى فساد مجتمعاتهم ، فكان أن قالوا بأثر العلم المطهر على النفس ورأوا أنه من وسائل الخلاص من العالم الفاسد ، ولم يتوقف الإخوان عند حد تعلم العلم فقط ، بل كانت نظرتهم أكثر

شمولا للإنسان أو نفسه على الخصوص ، فالنفس تتعلم العلم فتتطهر مما قد يكون قد علق بها أثناء رحلتها الحتمية في الحياة الدنيا ، وإلى جانب هذا على الإنسان أن يسعى للتخلق بالأخلاق الجميلة والتخلص من الآراء الفاسدة وإذا كان الأمر كذلك فعليه أيضاً أن يعمل الأعمال الصالحة ، إذ أن تعلم العلم وحده لا يكفي بل لا بد من العمل به ، والعمل غير المحكوم بهدى الدين وتوجيهاته أيضاً لا فائدة منه ، فالعلم والعمل والعبادة عندهم من وسائل التقرب إلى الله سبحانه إذ أن العباد لا يملكون إلا سعيهم .

وإذا كان الإسلام يدعو المسلم لأن يضرب في مناكب الأرض مستزيداً من خيرها غير محرم ما أحله الله سبحانه من خيرات ونعم على نفسه ، وكذلك يدعو إلى وجوب مراعاة التوازن بين مطالب الجسد ومطالب النفس وعدم الإهمال في مطالب أحدهما على حساب الآخر ، إلا أن نظرة الإخوان تختلف عن هذه النظرة ، إذ يرون أن الجسد الكثيف بمثابة وعاء للنفس التي أهبطت من العالم الروحاني ، وأن علاقتها بالجسد علاقة حتمية مؤقتة ، وهي باقية بعد فئائه ، وعلى الإنسان أن يزهد في الدنيا وما فيها ، وأن يسعى بكل ما لديه من جهد ووسائل إلى تطهير نفسه حتى يتاح لها الخلاص من الدنيا ويمكنها الصعود إلى فسحة السموات حيث الخلود الدائم . أما النفوس التي لا تسير هذه السيرة فإنها تظل معذبة أيضاً ولا يسمح لها بالصعود إلى فسحة السموات بل تظل سائحة أسفل فلك القمر معذبة في دائرة الزمهرير نتيجة لإغراقها في شهواتها الحسية في الحياة الدنيا ، وهذه هي جهنم عندهم ، ومن هنا فإن وظيفة التربية الأساسية أو الهدف منها يكون تقوية النفس حتى تتمكن من التغلب على شهواتها وتتطهر مما علق بها أثناء رحلتها الحتمية في الحياة ، وبخلاصها مطهرة تستحق الخلود في الجنان .

أما بالنسبة للفضائل والردائل فقد نهجوا فيها النهج الأرسطي حيث رأوا أن الفضيلة وسط بين طرفين مردولين ، إفراط وتفریط ، أما مصدر الحكم

عليها فليس الشرع فقط وإنما للعقل دوره في الحكم على هذه الأمور ، وكذلك أيضاً يدخل في اعتبارهم الظروف والملابسات المحيطة بالإنسان ، والإنسان العاقل هو الذي يسعى لتقهر نفسه الغضبية التي هي مصدر للشور والفساد بالنسبة للإنسان ، وواضح هنا تأثير الفكر اليوناني على هذه الجماعة من الفلاسفة المسلمين .

وقال الإخوان بمصدر المعرفة الإلهي ، ثم ما لبثوا أن ركروا على أهمية الحواس كوسيلة للمعرفة وبداية لها ، ثم لتجهوا إلى المنطق الأرسطي ، فشرحوا قواعده ، ما تيسر لهم ذلك ، واهتموا بتعليمه ، إذ رأوه أداة الفيلسوف للوصول إلى المعارف الصحيحة وكذلك رأوا فيه الميزان الذي يزن فكر الانسان وبقية من الوقوع في الخطأ ، ومن هنا كانت رسائلهم الرياضية التعليمية هي الرسائل الأولى الواجب على الأخ تعلمها فاذا أتقنها انطلق إلى غيرها على التدريخ .

وبحاول الإخوان التوفيق بين آرائهم وبين ما أتى به الدين الإسلامي في هذا المجال ، إذ أن الله سبحانه أخرج الناس من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ، فليست هناك معرفة قبلية أو فطرية في النفس أو موروثه ، بل هي مكتسبة ، ومن هنا فهم في وسع كل إنسان ، ويؤكدون على هذا فكان اتجاههم إلى أرسطو والرواقية من فلاسفة اليونان ، وأخذوا عنهم القول بأن نفس الطفل كصحيفة بيضاء ، وأن النفس تقبل آثار المحسوسات كما يقبل الشمع آثار الخاتم ، غير أن الإخوان اختصوا الحكماء الذين وصلوا إلى المرتبة الرابعة والأخيرة من جماعتهم بإمكانية الاتصال بالعقل وتقبل فيضه ، وإن لم يفيضوا في الحديث عن هذه الناحية بما فيه الكفاية ، وكان لأفلوطين ومدرسة الإسكندرية عموماً الأثر الأقوى في هذا المجال .

ولعل نظرهم إلى المعرفة بهذه الصورة تبين بصورة واضحة مدى اختلاف إخوان الصفاء عن الأسماعيلية ومن يقولون بالإمام المعصوم والتاويل الباطن . أما بالنسبة للحياة الاجتماعية فقد رأى إخوان الصفاء أنه لا بد لكل جماعة

من رئيس يرأسها ، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو أفضل الرؤساء قاطبة في نظرهم لما توافر فيه من صفات مزته عن البشر وهذه الصفات في مجموعها تصل إلى حوالى ست وأربعين صفة ، فانه من الممكن أن توجد هذه الصفات متفرقة في مجموعة من البشر ، ومن هنا فاذا اجتمع هؤلاء الأفراد الفضلاء الحكماء الذين باجتماعهم تجتمع فيهم صفات النبي عليه السلام أمكن أن يكونوا الرؤساء للمدينة الفاضلة ، فالرئاسة والحالة هذه جماعية للحكماء الذين يستطيعون بصفاء عقولهم وجودة قرائنهم وما أفاض الله عليهم من صفات أن يسوسوا المدينة الفاضلة ، ومن الواضح أن فكرة المدينة هذه في أساسها يونانية(١) ، كما أن إلقاء مقاليد الحكم فيها للفلاسفة أو الحكماء الذين هم أعلى مراتب من في المدينة فكرة أفلاطونية تأثر بها الفارابي وأثر كل منهما في إخوان الصفاء .

غير أن المجتمع الذى يعيش فيه الإخوان لا تتوافر فيه - بعد وفاة النبي - عليه السلام - هذه الرئاسة الجماعية الحكيمة ، وكذلك فقد لا يتحقق هذا الاجتماع الفاضل في وقت قريب في الحياة الدنيا ، وهنا يقررون أنهم يطمحون في اجتماع روحاني فاضل في ملكوت السماء حيث تصعد النفوس الذكية المستبصرة إلى هناك وتجتمع مع نفوس أخرى سبقتها في مدينة روحانية هي مدينة إخوان الصفاء ، حيث النعم الدائم والسعادة التي لا تزول .

وهذه المدينة الروحانية لا مكان فيها لجهل الحكام والسلاطين ، وكذلك لا تتمكن النفوس الفاسدة غير المطهرة من أن ترقى للحياة فيها ، فعلى كل من يريد الوصول إليها أن يسير سيرة إخوان الصفاء في تطهير النفس وتهذيب الأخلاق والتخلص من الآراء الفاسدة والجهالات المتركمة . والانضمام إلى جماعة الإخوان وتعلم علومهم يتيح هذا المصير .

الاتجاهات التربوية عند إخوان الصفاء :

وتنعكس كل هذه المفاهيم والتصورات الأساسية - وغيرها مما سبق عرضه - على تربية الإنسان والذي سعى الإخوان من أجل تكوينه وإعداده على طريقتهم الخاصة السرية . ومما لا شك فيه أن إخوان الصفاء لم ينفردوا في تاريخ الفكر الفلسفي خاصة بالاتجاه إلى تكوين جماعة فلسفية سرية تسعى إلى أن تتعلم وتعلم غيرها العلم المؤدى لتحقيق أغراضهم ، بل من المقرر أنهم ساروا في هذا الاتجاه سيرة الجماعة الفيثاغورية والذين تأثر بهم الإخوان في جوانب كثيرة من فكرهم الفلسفي انعكس على منهجهم في التعليم وطريقتهم في التربية وإعداد الأفراد .

فاخوان الصفاء بالرغم من أنهم فلاسفة إلا أنهم جماعة من العلماء أيضاً اجتمعوا ووحدت بينهم المشارب والأفكار ، ورأوا فساد مجتمعاتهم في جوانبها المختلفة فهرعوا إلى علوم عصرهم يهلون منها وإلى عقولهم يستفتونها ، فكان أن اهتموا إلى قرب مجيء دولة جديدة خيرة تحل محل الأخرى الفاسدة التي لا يجدون لهم فيها مكاناً ، وسعوا إلى زيادة قاعدة جماعتهم بأن مدوا أيديهم لتعليم الشباب علومهم الفلسفية التي رأوا أنها تؤدي إلى تهذيب النفوس وتطهير الأخلاق وتوهمهم لأن يكونوا رجالاً عاملين في دولة الخير ، وتساعدهم أيضاً على السعي من أجل الوصول إلى مدينة الإخوان الروحية في فسحة السموات حيث النعيم الدائم .

ويتدرج الشباب في مراتب الجماعة ، ويستمر تعلمهم دون توقف حتى سن الخمسين حيث يظل يتعلم ويعلم غيره ما يتعلمه ممن هم أقل منه علماً ، وبنقله إلى المرتبة الرابعة والأخيرة من مراتب الجماعة يصل إلى المرحلة التي يستغنى فيها عن الحواس ويمكنه الاتصال بالعقل وتقبل فيضه نظراً لورود قوى معينة على نفسه بدلالات كواكب مختصة باظهار هذه القوى وتوهمه للوصول إلى هذه الدرجة ، ومن الملاحظ أن إخوان الصفاء قد ربطوا الكثير من أقوالهم بأمور غيبية يصعب التحقق منها ، ولعل هذا يرجع إلى طبيعة الجماعة السرية التي لا تملك إلا الوعود المطاطة والأمانى تبعثها في طريق من

تريد ضمهم إليها ، وإذا اقتنع الأخ بمادتها أصبح من دعايتها وسعى أيضاً لضم غيره على أمل أن ينالوا الفوز جميعا في الآخرة إن لم يستطيعوا الوصول إلى السعادة على الأرض .

وعلوم أخوان الصفاء تتضمن العلوم الفلسفية والشرعية على طريقتهم وتبعا لفهمهم للشرية ، وإذا كانوا قد نشروا جانباً منها إلا أن هناك غيرها ظلت في طي الكتمان ، إذ ليس كل انسان عندهم يصلح لأن يتعلمها فينبغي صونها عن لا يستحقها ، وذلك لأن عدم قدرة المتعلم لها على فهمها تؤدى إلى غير الغرض المطلوب منها ألا وهو هداية النفوس وتهذيبها .

فأخوان الصفاء لم يقدموا منهاجاً عاماً لكل الأفراد الذين يعيشون في مجتمعهم بل قدموا منهاجاً خاصاً ، بهدف تكوين الصفوة المختارة التي اجتذبوها للجماعة واعدادهم للحياة في دولة الخير المنتظرة أينما كان مكانها .

ولم يقتصر الأمر على تقديم المعلم للصفوة ، بل قسموا هذه الصفوة إلى مراتب لكل مرتبة ما يميزها عن غيرها وخاصة من ناحية السن ودرجة النضج العقلي ، وكانت المرتبة الأولى من الشباب .

والذى ينبغى تأكيده هنا أن هدف التربية عند أخوان الصفاء ارتبط بفكرهم الفلسفى حيث جاء منسقا مع طريقتهم في المزج والتوفيق بين الدين الاسلامى الذى آمنوا به وأرادوا تطهيره مما علق به - فيما يرون - وبين الفلسفة أو العلوم الوافدة التي أغرموا بها ، فجاءت فلسفتهم على صورة مختلفة في العديد من جوانبها عن ثقافة بينتهم الاسلامية ، فكان أن اهتم الأخوان كل الاهتمام بنفس الانسان وسعوا إلى تطهير النفس أملاً في الخلاص من الدنيا ، ورغبة في نيل الفوز في الآخرة وكانت أشرف العلوم المؤدية إلى هذا معرفة النفس ، ومعرفة النفس تؤدى إلى معرفة الله وتنزيهه وتوحيده وعبادته حق العبادة ، ذلك أن من عرف نفسه عرف ربه ، وهذه المعرفة يكون كمال الانسان وتبهاً له التصور بالصور الروحانية وفعل الأفعال الملكية ، ويتاح له

بهذا الصعود إلى ملكوت السماء حين تفارق النفس الجسد وتنضم إلى النفوس الخيرة التي سبقها فتتم بوجودها هناك .

فأخوان الصفاء ، وان عاشوا في الأمة الاسلامية إلا أن فلسفتهم النظرية عموما جاءت مختلفة في العديد من جوانبها عن ثقافة بيئتهم الاسلامية ، وانعكس هذا على الهدف من التربية عندهم والعلوم التي عنوا بتعليمها على طريقتهم ، تلك الطريقة التي تميزت بالاستتار عن العيون ، وأرسال الرسل والرسائل من الطريقة التي تميزت بالاستتار عن العيون^١ ، وأرسال الرسل والرسائل لأخوان حيثما كانوا في البلاد ليتعلم بقية الأخوان ما ينبغي عليهم تعلمه من علوم على خفية ومدارة بدلا من العلانية والعمومية التي ميزت طريقة التعليم في الاسلام وما يجدر الاشارة إليه أن فكر أخوان الصفاء التربوي لا يمكن تسميته

« تربية اسلامية » بالصورة المقصودة من التربية الاسلامية الأصيلة بالفعل ومن هنا جازلنا أن نقدمهم على أنهم جماعة من الفلاسفة المسلمين عاشوا في القرن الرابع الهجري بكل ما فيه فتأثروا بثقافة عصرهم المتدفقة بلا حدود أو قيود ، فخرجوا بتربية ذات أهداف ومنهج وطريقة ومبادئ متفقة مع فكرهم الفلسفي التوفيقى أكثر منها مع مجتمعاتهم وثقافتهم الاسلامية الأصيلة ، وعلى هذا فهم لا يمثلون التربية الاسلامية بقدر ما يمثلون نموذجا من نماذج الفكر التربوي لدى جماعة من الفلاسفة المسلمين الذين عاشوا في العراق أبان القرن الرابع الهجري والنصف الثاني منه على الأرجح .

ومن أهم المبادئ التربوية التي تبين معالم فلسفتهم التربوية ما يلي :

- طالب العلم فريضة ، إذ أنه مما يقرب الانسان إلى ربه . ويقوده إلى معرفة الله وعبادته ، والعلم يؤدي إلى تهذيب النفس وتطهيرها فتمكن من الفوز بنعيم الآخرة ، وتعلم العلوم التي يعامها الأخوان على الخصوص يرقى بالانسان إلى مرتبة الملائكة ، أما الانسان الجاهل فهو عندهم ينحط إلى مرتبة الحيوانية .

- وتعليم العلم فريضة أيضا ، فهناك مسئولية اجتماعية وخلقية يحملها

المتعلم تجاه غيره من أفراد مجتمعه ، فكل متعلم عليه أن يؤدي ضريبة العلم الواجبة بأن يعلم غيره وفي هذا تقرب إلى الله ، ويكون تعاونهم جميعاً سواء المعلم أو المتعلم من أجل صلاح الدين والدنيا وأملا في الفوز برضوان الله وحسن ثوابه ، دون التوقف عند حدود المنفعة الشخصية أو ربط ذلك بأجر مادي محدد ، ومن هنا لم يناقش أخوان الصفاء مشكلة أجر المعلم مثلما ناقشها الكثير من المؤلفات التربوية الاسلامية .

- طلب العلم مستمر حتى من الخمسين بالنسبة للمعلمين والمتعلمين ، وحين يصل الانسان إلى هذه السن يستغنى في تعلمه عن الآلات الجسدانية ويستطيع بعقله أن يتصل بالعقل الذي يفحص عليه العلم ، وعلى امتداد هذا العمر يظل الانسان (أو ينبغي أن يكون كذلك عندهم) يتعلم العلم بما يتلائم والمرحلة التي يمر بها من مراحل النضج العقلي ، ومراتب الجماعة ، والمعلم عندهم كما يؤدي واجبه نحو غيره فيعلمهم : لا بد وأن يؤدي واجبه نحو نفسه ويظل يتعلم دون توقف أو انقطاع .

- وللميول أهميتها وأثرها في أقبال التلاميذ على تعلم علوم دون غيرها ، وبالتالي فإن تمييز هذه الميول يؤدي إلى فروق واضحة بين الأفراد ، ومن هنا كانت نصيحتهم بمراعاة الفروق والاهتمام بإعطاء كل تلميذ من العلوم ما يتلاءم مع قدراته وميوله .

- والتعليم عندهم يبدأ من الحواس ويؤسس على ما تأتي به ، أي أن الحواس هي السبيل إلى المعرفة ، وإذا كان الأمر كذلك فتعلم العلم في تناول كل انسان دون تفرقة في أول الأمر على الأقل حتى إذا اجتهد في مجال العلم وسعى فيه واستمر في طريقه تمكن من الوصول إلى المعرفة العقلية التي هي أسنى من المعرفة الحسية ، وهي التي تخرج الانسان من العامة إلى الخاصة فلو قيل أنهم يعلمون الصفة المختارة وقاموا بالنظر إلى الناس على أنهم عامة وخاصة ، فمن الممكن القول أيضا أن الخصوص هنا مرتكز على اجتهاد الانسان وسعيه في سبل العلم المختلفة .

— والتدرج في العلوم ضرورى إذ ينبغي عدم اعطاء العلم للمتعلم دفعة واحدة ولكن على التدرج الذى ارتضه والرتيب الذى رتبوه للعلوم في رسائلهم ، وبعبارة أكثر تفصيلا يمكن القول أنه ينبغي أن تكون هناك معارف سابقة لما يليها من معارف ولا ينتقل منها المتعلم إلا بعد أن يتقنها ، وانعكس هذا على منهجهم ، فكانت العلوم الرياضية التعليمية أولا ، فالجسمازيه الطبيعية ، فالنفساوية العقلية ، ثم الشرعية الدينية ، وكذلك كانت الرسائل مقدمة للرسالة الجامعة التى وظيفتها البرهان .

— جذب اهتمام التلاميذ إلى المادة المتعلمة وأثارة شوقهم إليها بالوسائل المختلفة من الأمور الواجب مراعاتها ، وقام اخوان الصفاء بتطبيق هذا المبدأ فاستخدموا الرمز والحكاية على لسان الطيور والحيوانات من قبيل التشويق ، كما عمدوا أحيانا إلى التنبيه إلى محتوى الرسالة التالية وما قد يجده فيها المتعلم من معلومات تفيده في تكملة ما سبق أن القوه إليه ، وغير ذلك من طرق التشويق .

— ضرورة وضوح المادة المتعلمة أمام التلاميذ ، وكذلك الأثر الطيب في الموقف التعليمى يدفع إلى المزيد من الاجتهاد ، فالنجاح عندهم على سبيل المثال يدفع إلى المزيد من النجاح .

— يهتم التعليم عند الاخوان بالتركيز على الثواب المعنوى الأخرى الذى يناله المتعلم حين يطهر نفسه في النهاية إلى ملكوت السماء حيث النعيم الدائم ، أما العقاب فمن الملاحظ أنهم لم يتحدثوا عنه مثلما تحدث عنه عدد كبير من التربويين المسلمين من القابسى حتى ابن خلدون ، وان كانوا قد أشاروا إلى عقوبة تتلائم وجماعتهم السرية فبدت العقوبة عندهم معنوية في الدنيا حيث يحرم الأخ الخارج على تماليد جماعتهم من عوارمهم واللقاء بهم والحديث إليه في أسرارهم ، هذا بالتالى سوف يحرمه من الحصول على النعيم الأخرى المنتظر .

— المعلم أب روحى لتلاميذه ، وعلاقته بهم أقوى من علاقته بأولاده

الذين تربطه بهم رابطة جسدانية ، والرابطة الروحية هذه تفرض على المعلم أن يعلم تلميذه بأمانة وألا يخفى عنه ما تعلمه إلا إذا كان لا يقدر على حمله والمعلم عندهم داعية للجماعة ومن ثم فهو أيضا قائد وقدوة .

— طاعة التلميذ للمعلم واجبة ، وعليه أن يحترم معلمه ويقدره حق قدره . إذ هو أب لنفسه ، كما أن والده بالنسب أب لجسده .

— أهمال تعليم البنات ، فلم يكن لها مكان في عضوية الجماعة أو في أية مرتبة من مراتبها ، وتركت وشأنها حيث اعتبرت عندهم في مرتبة مساوية للصبيان وغيرهم ممن لم يرتفعوا المستوى العضوية لجماعة لإخوان الصفاء :

: خلاصة القول أنه كان لإخوان الصفاء فلسفتهم النظرية التي لم تنفصل عن فلسفتهم في تربية الانسان ، وكذلك لم ينفصل الفكر التربوي عندهم عن تطبيقه في اطار جماعتهم السرية وفي حدود امكانيات زمانهم بمكانهم وثقافتهم عصرهم .

الشيخ الرئيس

ابن سينا

يذكر أن ابن سينا هو أول فيلسوف عربي ترك لنا من لفظه شيئاً عن سيرته ووصف حاله ، فقال : إن أباه كان رجلاً من أهل بلخ ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور . وقد ولد بأفشنة بالقرب من بخارى عام ٩٨٥ ميلادية . ويذكر ابن سينا عن نفسه أنه حفظ القرآن في سن العاشرة ، ثم أراد أبوه أن يدعوه إلى مذهب الإسماعيلية ، وكان يأخذه لسماع المناقشات المذهبية ، فنشأ سامعاً للفلسفة والهندسة وحساب الهند ؛ فتولد في نفسه ميل إلى هذه العلوم من غير أن يعتنق مذهب الإسماعيلية .

ثم تتلمذ أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن علي بن سينا على أساتذة في الفلسفة والفقه والرياضة والمنطق . ثم أخذ يقرأ الكتب بنفسه ويطالع الشروح حتى أحكم علم المنطق وكتاب إقليدس ، ثم التفت إلى دراسة الأشكال الهندسية حتى أنه فاق من كان مفروضاً أن يعلمه هذه الأشكال . ثم تفتحت أبواب العلم عليه حتى رغب في علم الطب ، ويقال إنه بعد أن قرأ الكثير في علم الطب بدأ يتعهد المرضى بعد أن انفتح عليه من أبواب المعالجات المقتبسة عن التجربة مالا يوصف .

وكان ابن سينا قد بلغ السادسة عشرة من عمره !!

ثم أمضى سنة ونصف سنة منكباً كلية على العلم والقراءة ، وخاصة في المنطق والفلسفة ، وكان يوصل الليل بالنهار في البحث والقراءة . . . وكلما كنت أتخبر في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ، ترددت إلى الجامع وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل ، حتى فتح لي المنطق ، وتيسر المتعسر ، وكنت أرجع بالليل إلى دارى ، وأضع السراج بن يدى وأشتغل ، بالقراءة والكتابة ، فهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت إلى شرب

قدح من الشراب ريثما تعود إلى قوتي ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام ، وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ووقفت عليها بحسب الإمكان الانساني ، وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزد فيه إلى اليوم . وكان يعنى (باليوم) عندما كتب سيرة حياته .

ويقول ابن سينا عن نفسه إنه قرأ كتاب « ما بعد الطبيعة » ولم يفهم ما فيه حتى أعاد قراءته أربعين مرة . . « وصار لي محفوظا وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وآيست من نفسي وقلت هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وببدا دلال مجلد ينادى عليه فعرضه على فرددته رد متبرم ، معتقداً أن لا فائدة في هذا العلم ، فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص أبيعك بثلاثة دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه فاشترته . فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب ، بسبب أنه كان لي محفوظا على ظهر القلب ففرحت بذلك وتصدقت ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى .

وقد حدث أن مرض سلطان بخارى نوح بن منصور وحرار فيه الأطباء .

وقد حدث أن مرض سلطان بخارى بن منصور وحرار فيه الأطباء . كان اسم ابن سينا قد أجرى ذكره بين يدي السلطان المريض ، فأرسل في استدعائه واشترك في مداواته . وقد أعجب السلطان بابن سينا حتى أذن له بدخول دار كتبه ، وكانت داراً ذات بيوت كثيرة ؛ في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه . . . وطابت ما احتجت إليه منها ورأيت من الكتب ما لا يقع اسمه إلى كثير من الناس قط وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته من بعد : فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها . «

ايقل إن ابون سينا قد اتهم بحرق خزائن الكتب هذه بعد أن استفاد من

كل العلوم التي كانت بها حتى يفرد بمعرفة ما حصل منها ، ولكن هذه المهمة لم تثبت عليه . ويقول عن نفسه إنه لما بلغ ثمانى عشرة سنة من عمره فرغ من العلوم كلها ، والظاهر أن الله قد حباه بذاكرة جبارة وقدرة على الدراسة والصبر والرغبة في التحصيل يندر وجودهما .

وبدأ ابن سينا التأليف وهو في الحادية والعشرين ، ثم تقلد مناصب كثيرة خارج بخارى . وقد حدث في أثناء ترحاله في داغستان بالقرب من بحر قزوين أن مرض فعاد إلى جرجان واشتغل بتأليف كتابه العملاق في الطب واسمه « القانون » وهو الذى خلد ذكره ، وكان يدرس في أكبر جامعات أوروبا .

على أن ابن سينا لم يعرف الاستقرار في مكان واحد ، فقد عينه أمير همذان وزيراً ولكن وزارته لم ترض الجند وطلبوا قتله ، ثم اختفى ابن سينا بعض الوقت ، ثم عاد إلى حاشية أمير همذان الذى كان يحس أوجاعاً في أحشائه ، وبدأ ابن سينا في كتابة مؤلفه « الشفاء » .

وكان ابن سينا معلماً في الفلسفة والنطب . ويذكر أنه كان يحب الأُنس والأطعمة الفاخرة . فكان يدرس لتلاميذه في أول الليل ، ثم يمضى بقبته معهم ومع أحبائه حيث الموائد الممتعة والموسيقى الشجية . ولما مات شمس الدولة أمير همذان لم يرض ابنه عن حال ابن سينا، فحقد عليه الشيخ الرئيس وكتب في السر عدوه أمير أصهبان . ولكن انكشف أمر ابن سينا وبجئ . ثم فر إلى أصهبان وكانت صحته قد بدأت تضعف من الإفراط في العمل واللهو ، وتملك منه داء في أحشائه . ويظهر أن الفيلسوف الطيب أحس أن هذا الداء فيه أجله فتاب إلى الله وتصدق بأثمن ما عنده وانقطع إلى العبادة حتى مات في سن السابعة والخمسين .

كتب ابن سينا رسائل عديدة تشتمل على أغراض شتى وفنون مختلفة ،

فقد كتب في الطب ، والأدب ، والفلسفة . ويقول الأب بولس مسعد (١) لو شئنا تعداد مصنفات الشيخ الرئيس في فروع الأدب والعلم والحكمة والطب والدين لمال القارىء » . ويلوح أن أول كتاب ألفه الشيخ هو (مبحث في القوى النفسانية) كتبه للأمير نوح بن منصور ، ويسمى الكتاب أيضا (هدية الرئيس للأمير) . ثم تابعت تأليفه التي زادت على المائة كما أحصاها رواة سيرته ، أو على المائتين كما نرى من الاطلاع على كتبه المخطوطة المطبوعة (٢) ومن أهم كتبه :

١ - الشفاء : ويعتبره الأب بولس من أعظم مؤلفات أرسطو الإسلام قدراً وأعلاها شأنًا وأغزرها مادة وأكثرها فائدة . و (الشفاء) كتاب في الفلسفة يحتوي على كل فروعها المنتشرة في أيامه : المنطق والرياضيات والإلهيات والطبيعات وما وراء الطبيعة ، ويقع الكتاب في ثمانية عشر جزءاً .

٢ - القوانين ، وهو كتاب في الطب ، ويعتبر موسوعة جمعت خلاصة ما وصل إليه الطب عند العرب والإغريق والهنود والسريان وغيرهم (٣) فقد أودعه الشيخ كل ما يتعلق بالطب . ويقع في أربعة عشر مجلداً تتضمن كل معارف عصر ابن سينا في الطب والعماقير الكلية من علم الطب ، وقد تكلم فيه عن المبادئ النظرية ، أى التشريح وعلم وظائف الأعضاء أو كما يقول « في ماهية العصور وأقسامه والعظام والعضلات والأعصاب والشرايين والأوردة » ، وفي تصنيف الأمراض والأسباب والأعراض ، وفي قوانين المعالجات . وتناول في الكتاب الثانى القوانين التى يجب أن تعرف عن الطب والأدوية . ثم تناول في جزئيه الثالث والرابع وسائط مداواة الحافظة للصحة ، كما تناول في الكتاب الخامس الأقرباذين وهى الأدوية المركبة . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية وطبع في التمرن الخامس عشر والسادس عشر عدة

(١) الاب بولس مسعد : ابن سينا الفيلسوف ، ص ٢٧

(٢) أحمد فؤاد لاهوتى : ابن سينا : ص ٢٤ - عن الأب فنوانى : مؤلفات ابن سينا .

(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوروبية ، ص : ٢٩

حرات ، كما عنى الأوربيون بنصه العربى أيضا فطبعوه بالعربية فى روما عام ١٥٩٣ ، واحتفظت المكتبة الوطنية بباريس بنسخة خطية منه .

٣ - النجاة : وكتاب (النجاة) مختصر لقسم الشفاء الفيلسفى ، وقد وضعه ابن سينا للذى « يريد أن يتميز عن العامة ، وينحاز إلى الخاصة ، ويكون له بالأصول الحكيمية إحاطة » (١) والنجاة من الكتب الفلسفية المحكمة الوضع والترتيب والتبويب ، ويشتمل على المنطق والطبيعات والهندسة والحساب وعلم الهيئة وعلم الموسيقى والإلهيات ، ولم يبق منه إلا ثلاثة أجزاء ، وهى : المنطق ، والطبيعات ، والإلهيات . وقد طبع كتاب (النجاة) لأول مرة باللغة العربية فى روما عام ١٥٩٣ م ، وترجمت أجزاء منه إلى اللاتينية والفرنسية (٢) .

٤ - الإشارات والتنبيهات : وقد ألفه ابن سينا فى أواخر أيامه ، وهو آخر تصانيفه ، وكان يعده من أحسن كتبه ، ويضن به على غير أهله . وقد كتب فى آخره (٣) : « أيها الأخ إني قد مخضت لك فى هذه الإشارات عن زبدة الحق ، وألقتك قفى الحكم فى لطائف الكلم ، فصنه عن الجاهلين والمبتذلين ، ولا تنشره إلا بين الذين تثق بنقاء سريرتهم ، واستقامة سيرتهم » . ابن سينا الفيلسوف .

قسم ابن سينا العلوم إلى نظرية وعملية ، « والعلوم النظرية هى العلم الطبيعى الذى يبحث فى الموجودات من حيث هى فى مادة وحركة ، والعلم الرياضى الذى يبحث فى الأمور المخالطة للمادة ولكن يمكن مفارقتها تصوراً لا قواماً ، والعلم الإلهى الذى يتناول اعتبار الموجودات من حيث مفارقتها تصوراً وقواماً ، والعملية تبحث فى سلوك الإنسان ، إما من جهة تصرفاته الشخصية وهذا هو علم الأخلاق ، وإما من جهة تصرفه مع غيره

(١) من (مقدمة كتاب النجاة)

(٢) محمد كاظم الطيلىعى : ابن سينا - بحث وتحقيق ، س : ٧٦

(٣) المصدر السابق ، س ٧٧

من الناس وهو علم السياسة . والفلسفة تجمع هذه العلوم كلها ، وغرضها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه . وغاية الفلسفة النظرية تكميل النفس بالعلم ، وغاية العملية تكميل النفس بالعمل ، أو أن غاية الأولى معرفة الحق ، وغاية الثانية معرفة الخير (١) .

ويقول ابن سينا عن المنطق إنه آلة لتحصيل العلوم « لأنه يكون علماً منبهاً على الأصول التي يحتاج إليها كل من يقتنص المجهول من العلوم » وكثيراً ما يؤكد ابن سينا نقص العقل الإنساني ، وهذا النقص يجعله في حاجة إلى القوانين المنطقية ، وكما يستنبط صاحب الفراسة من ملامح الشخص الظاهرة أخلاقه النفسية الداخلية . فكذلك يتوصل صاحب المنطق من المقدمات المعلومة إلى المجهول . ولكن قد تنطرق إلى هذا الاستنباط أخطاء التخيل والحس ، ولذلك فلا بد من مجاهدة الحس للترقي بالتخيل إلى مرتبة المعرفة العقلية الخالصة التي توصل إلى الحقائق اليقينية المطلقة (٢) . ويرى ابن سينا أن البدوي لا يحتاج إلى تعلم النحو ، وكذلك لا يستغنى عن المنطق إلا رجل مؤيد بالهام إلهي .

ويرى ابن سينا أن للأشياء قبل تكثرها وجوداً في علم الله وفي عقول الملائكة (عقول الأفلاك) ، وإذا اتخذ الوجود الصورة المادية تعرض له الكثرة ، ثم يرتقى وتزول عنه العوارض الشخصية حتى يصير معنى كلياً في العقل الإنساني ، ويذهب ابن سينا إلى أن المادة لا تصدر عن الله ، وبذلك جعل المعقولات في مكان أعلى من كل ما هو مادي ، ورفع بذلك شأن النفس من حيث هي وسيطة بين عالم العقول وعالم الأجسام .

وتكلم ابن سينا عن النفس في كتابه (النجاة) كجنس واحد ينقسم بضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام :

(١) النفس النباتية : وهي كمال أول الجسم طبيعي آلى من جهة ما

(١) أحمد فؤاد الأهواني : (المرجع السابق) ، ص ٤٢

(٢) دي بور : (المرجع السابق) ، ص : ١٩٦

يتولد ويربى ويتغذى والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل
لأنه غذاؤه ، ويزيد فيه بمقدار ما يتحلل أو أكثر أو أقل .

(ب) النفس الحيوانية : وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما
يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة .

(ج) النفس الإنسانية : وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ما
يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى ، ومن جهة
ما يدرك الأمور الكلية .

ويقول ابن سينا إن النفس جوهر قائم بذاته مستقل عن البدن مغاير له .
ومذهبه فى الإنسان إثنيى ، فالإنسان مركب من جسد ونفس ، وليس بين
الجسد والنفس اتصال فى الجوهر . ولكن لكل جسد نفس خاصة لا تصلح
إلا له وتفيض عليه من واهب الصور ، وهو العقل الفعال .

وأكثر ما يهتم به ابن سينا فى النفس هو الأنا ... والمراد بالنفس ما يشير
وأكثر ما يهتم به ابن سينا فى النفس هو الأنا ... والمراد بالنفس ما يشير
إليه كل أحد بقوله « أنا » (١) والأنا هنا لا تعنى البدن . بل تعنى شيئاً آخر
غير ملموس . وقد تأثر بفكرة الأنا الأسيينية الفيلسوف ديكارت وفلاسفة
ألمان وبرجسون وفرويد ، كما فطن ابن سينا إلى فكرة الشعور ، وميز بينه وبين
الأنا ، فقد يشعر الفرد بذاته ، وقد يغفل عن ذاته ، فلا يشعر بها « ولكن مع
ذلك لا تغيب عنه ذاته . فيقول ابن سينا : « حتى إن النائم فى نومه ، والسكران
فى سكره ، لا تعزب ذاته عن ذاته ، وإن لم يثبت تمثله لذكره » .

ويقسم ابن سينا النفس الحيوانية إلى قوتين : قوة محرركة ، وقوة مدركة .
ويقسم القوة المحركة إلى قسمين : إما محرركة بأنها باعثة ، وإما محرركة بأنها فاعلة
وأما القوة المدركة فتقسم عنده قسمين أيضاً : قوة تدرك من خارج ، وقوة
تدرك من باطن . والمدركة من خارج هى الحواس الخمس : البصر والسمع
والشم والذوق واللمس . والأخير هو جنس لأربع قوى تدرك الحار والبارد ،

(١) ابن سينا : أحوال النفس (تحقيق د . أحمد فؤاد الأدهوانى) ، ص ١٨٣

(٢) جميل صليبا : ابن سينا - درس وتحليل ، ص : ٢٧

واليابس والرطب والصلب واللين ، والخشن والأملس (١) . وأما القوى المدركة من الباطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات ، وبعضها تدرك معاني المحسوسات . ومن المدركات ما يدرك ويفعل معاً ، ومنها ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً ، ومنها ما يدرك إدراكاً ثانياً .

والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هو الشيء الذي تدركه النفس الباطنة ، والحس الظاهر يدركه أولاً ويؤديه إلى النفس ، ومن القوى الباطنة : قوى الخيال أو المصورة ، وهي قوة مرتبة في آخر التجويف المقدم من الدماغ تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية وتبقى فيه بعد غياب المحسوسات . لأن قوة القبول هي غير قوة الحفظ .

والقوة المتخيلة هي قوة مرتبة في التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها أن تتركب بعض ما في الصور مع بعض وتفضل بعضه عن بعض بحسب الاختيار والتوة الوهمية هي قوة مرتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ وتدرك المعاني غير المحسوسة كالقوة الحاكمة بأن الذئب مهروب منه ، وأن الولد معطوف عليه . وأخيراً القوة الحافظة أو الذاكرة وهي قوة مرتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الراحية . ونسبة التوة الحافظة إلى الوهمية كنسبة التوة التي تسمى خيالاً إلى الحس المشترك . فالحافظة تحفظ المعاني والخيال يحفظ الصور (٢) .

ويذكر ابن سينا أن العقل هو أعلى قوى النفس النظرية ، وفي الإنسان عقل عمل ، وفعله يظهر التعدد في الطبيعة الإنسانية ظاهراً اعتيادياً غير مباشر . وهذا العقل العمل مبدأ حركة الإنسان بعد الروية ، وإذا كانت النفس الحيوانية محركة للحيوان ، فليس ذلك بعد روية وتمكيز ، بل بنزوع شوقي ينبعث من الشهوة أو الغضب . وللعقل العمل ثلاث وظائف (٢) . فهو حين يضاف إلى القوة الحيوانية النزوعية تحدث عنه هيئات انفعالية مثل الحجل والحياء والضحك

(١) ابن سينا : الإشارات . الجزء الثاني ، ص : ٣٥٠ - ٣٥٧

(٢) أحمد فؤاد الأهواني : المرجع الأسبق : ص : ٦٠ - ٦١

والبكاء . وحين يضاف إلى القوة المتوهمة يستفيد منه الإنسان في التدابير الكائنة الفاسدة ، وفي استنباط الصنائع المختلفة . وحين يضاف إلى العقل النظرى يتولد عنه الآراء الذائعة مثل أن الكذب قبيح .

والعقل العملى هو الذى يتساط على البدن يسوسه فتشأ عن ذلك هيئات تسمى فضائل أو رذائل ، بحسب انقيادها أو عدم انقيادها . أما العقل النظرى أو القوة النظرية فهى قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة . فإن كانت مجردة بذاتها فذاك ، وإن لم تكن فأنها تصيرها مجردة بتجريدها إياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء . ولهذا العقل النظرى أربع مراتب أو قوى :

(أ) العقل الهولانى : وهى قوة مطلقة أو قوة للاستعداد المطلق ، موجودة عند كل فرد صغير أكان أو كبير أكفوة الطفل على الكتابة .

(ب) العقل بالملكة أو القوة الممكنة ، وهو الذى تكون قد حصلت فيه المعقولات الأولى وهى المقدمات التى يقع بها التصديق لا باكتساب ولا بأن يشعر المصدق بها أنه كان يجوز له أن يخاو عن التصديق بها ، مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء ، وأن الأشياء المتساوية لشيء واحد متساوية .

(ج) العقل بالفعل (١) وهو الذى تكون قد حصلت فيه المعقولات الثانية التى تعتمد فى حصولها على المعقولات الأولى .

(د) العقل المستفاد ، وهو كمال العقل بالفعل .

ويتكلم ابن سينا عن أن العقل يكون فى أول الأمر عقلا بالقوة ، ثم يصير عقلا بالفعل ، وذلك بما يصل إليه من إحساسات تؤذيها إليه الحواس الظاهرة والباطنة ، فالعقل يخرج بالاستعمال من القوة إلى الفعل ، وهذا يحدث بواسطة الإدراك ولكن بهدى وإثارة من فوق . من واهب الصور ، وهو العقل الفعال الذى يفيض الصور على العقل الإنسانى .

على أن نفس الإنسان ليس بها حافظة تحفظ المعانى العقلية المجردة

(١) يتكلم ابن سينا عن القوة والفعل وهما من صيغتين أرسطو . والقوة هى الموجود من حيث أنه لم يبلغ كماله بعد ، والفعل هو الموجود من حيث أنه بلغ كماله :

لأن الذاكرة لا بد أن تركز أبداً على موضوع محسوس ، فإذا أدركت النفس الناطقة شيئاً فإن هذا الإدراك يفيض عليها دائماً من العقل الفعال ، والنفوس الناطقة لا تمتاز بموضوع معرفتها ولا بمقدار ما حصلته من معارف ، وإنما يكون تمايزها بمقدار سرعة استعدادها للانصال بالعمل الفعال الذي تتلقى عنه المعرفة (٢) .

ويتكلم ابن سينا عن أن للنفس الناطقة كما لها الخاص بها أن تصير عالماً عتلياً مرتسماً فيها صورة الكمال والنظام المعقول في الكمال والخير الفاضل في الكل ، ويقول إن اللذات مرتبة بحسب سلم التيم ، وأدنى هذه اللذات هذه الشهوات من طعام وشراب ، ولذات الحياة العتلية أشرف وأتم من اللذات الشهوانية والغضبية ، كما أن لذات المعقول أدوم من لذات المحسوس ، ولذلك كانت اللذة الدائمة أرفع من اللذة المتغيرة الفاسدة .

تعرضت في عجالة مريعة لتلايل يسير من الفلاسفة السينوية ، وقد اشتهر ابن سينا كنياسوف وسياسي وطبيب ، ويذكر أن كتاب « التمانون » بقى إنجيل الطب مدة طويلة لم ينلها أي مؤلف آخر ، وكان ينظر إليه على أنه وحى معصوم ، فقد نسق تنسيقاً منطقياً لا يعاب . ويقول أهل الثقة إن ما على الإنسان إلا أن يقرأ جالينوس ثم ينتقل منه إلى ابن سينا ليرى الفارق بينهما ، فالأول غامض والثاني واضح كل الوضوح ، والتنسيق والمنهج المنتظم سائدان في كتاب ابن سينا ، ونحن نتحدث عنهما عبثاً في كتابه جالينوس .

وقد اشتغل ابن سينا بوظائف الحكم والوزارة ، ومع ذلك فكان لديه متسع من الوقت للترجمة والكتابة وترويح النفس . وكذب في السياسة ، ولكن كلمة (سياسة) تعني عند فلاسفة العرب « تلافى الخلل وإصلاح الفاسد » ولما كان الفساد والخلل يطرآن على الإنسان وأعماله فقد وضع بعضهم مقالات ورسائل في هذا الموضوع . ولابن سينا رسالة في السياسة متممة إلى مقدمة وخمسة أقسام : في المقدمة تكلم عن التفاوت بين الناس في الصفات والرتب ،

(١) دي هود : (المرجع الأسبق) ، ص : ١٠٣-١٠٤

ثم تناول في أقسام الكتاب : سياسة الرجل نفسه ، سياسة الرجل دخله وخرجه
سياسة الرجل أهله ، سياسة الرجل ولده ، ثم سياسة خدمه (١) .

أولاً : سياسة الرجل نفسه (١) :

أول ما ينبغي أن يبدأ الإنسان من أصناف السياسة سياسة نفسه . إذ كانت
أقرب الأشياء إليه ، وأكرمها عليه ، وأولاها بعنايته ، لأنه متى أحسن
سياستها لم يعبأ بما فوقها من سياسات .

ومن أوائل ما يلزم : أن يعلم أن له عقلا هو السائس ، ونفساً أمانة
كثيرة المعائب ، فاذا علم ذلك وجب أن يتطلب جميع معايير نفسه فيصلحها
بدون إهمال ، ولما كانت معرفة الإنسان غير موثوق بها لما في طبائع الإنسان
من الغباوة عن مساوئه ، وكثرة مساحته لنفسه : فيجب أن يتخذ الأخ اللبيب
الواد الذي يكون منه بمنزلة المرأة فيريه حسن أحواله حسناً وسيئها سيئاً .

ثانياً : سياسة الرجل ولده

إن من حق الولد على والده إحسان تسميته ، ثم اختيار ظهركى لا تكون
حماقاً ، ولا ورهاء ، ولا ذات عاهة فان اللبن يعدى كما قيل ، فاذا فطم
الصبي يبدأ بتأديبه ورياضة أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة ..

فينبغي لقيم الصبي أن يجنبه مقابح الأفعال ، وينكب عنه معائب العادات
بالترهيب ، والترغيب ، والأيتناس ، والإيجاش ، وبالإعراض ، والإقبال ،
بالحمد مرة ، وبالتوبيخ أخرى ما كان كافياً ، فان احتاج إلى الضرب فليكن
أو الضرب قليلاً موجعاً كما أشار به الحكماء بعد الإرهاب الشديد ، وإعداد
الشفعاء ، فان الضربة الأولى إذا كانت موجعة ساء ظن الصبي بما بعدها ،

(١) عن « رسالة تداير المنازل » أو « السياسات الأهلية » ، في محمد كاظم الطريحي .
(المراجع الأتيق) ض : ١٦٣ - ١٦٨ ، والأب بواس مسعد : (المرجع الأتيق) ص :

واشتد منها خوفه ، وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به .

فاذا تهيأ الصبي للتلقين ، ووعى سمعه أخذ في تعلم القرآن وصورته له حروف الهجاء ، ولقن معالم الدين ، وينبغي أن يحفظ الرجز ثم التصيد .
وينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل ذو دين بصير بريضة الأخلاق حاذق بتخريج الصبيان ، وقور رزين بعيد عن الخفة والسخف ، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي ، غير كز ولا جامد ، حلو لبيب ذو مروءة ونظافة ونزاهة ..

وينبغي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من أولاد الجللة ، حسنة آدابهم مرضية أخلاقهم فان الصبي يأخذ عن الصبي .
وإذا فرغ الصبي من تعلم القرآن ، وحفظ أصول اللغة ، نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجد طريقه .

ويجب أن يعلم مدبر الصبي أنه ليس كل صناعة يرومها ممكنة له موالية ، لكن ما شاكل طبعه وناسبه ..

فاذا كسب الصبي بصناعته فمن التدبير أن يزوجه ويفرد رحله ، لثلاث تتلاعب به الشهوات . . .

مجلة الإسلام

الغزالي (١)

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . آيل إن أباه كان يشتغل بغزل الصوف ، ومن هنا جاءت التسمية ، وقيل إنه ينسب إلى بلد يسمى غزالة ، والغالب أنه ولد في مدينة طوس من أعمال خراسان ببلاد فارس عام ١٠٥٨ م (٤٥٠ هجرية) . ويعتبر الغزالي من أكبر مفكري الإسلام المدافعين عنه بل من أكثرهم قدرة على الابتكار ، وكان فقيهاً متكلماً صوفياً . وقد سمي بحجة الإسلام لأنه رد على الكثيرين من المخالفين .

ويذكر السبكي في طبقاته أن الثقافة الأولى التي تلقاها الغزالي بعد وفاة أبيه كانت في بيت صديق له متصوف . وكانت ثقافة عامة لم يستزد منها الكثير ، إذ كان بعدها علماً دنيوياً ، وفضل عنها أن يغمر روحه في معرفة الله . ودرس الغزالي علم الكلام عندما ذهب إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين هناك . وقرأ الحكمة والفلسفة ، وقد عرف عنه شدة الذكاء والإفراط في الإدراك والغوص عن المعاني الدقيقة .

ثم بعد موت إمام الحرمين تولى منصب التدريس في بغداد في مدرسة النظامية ونال هناك نجاحاً كبيراً ، فقد أعجب الخلق بحسن كلامه وكمال فضله

(١) المادة مستقاه من :

أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين (أربعة أجزاء)

أبو حامد الغزالي : المنتقى من الضلال

حسين أمين الغزالي : فقيهاً وفيلسوفاً ومتصوفاً

طه عبد الباقي سرور : الغزالي

فتحية سليمان : بحث في المذهب التربوي عند الغزالي

البارون كارادوفو (ترجمة عادل زعيتير) : الغزالي

محمد البهي : الغزالي في فلسفة الأخلاق والصوفية

الأب يوحنا قمبر : الغزالي

وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة وإشاراته اللطيفة . وكان الشك قد بدأ يتطرق جاداً إلى نفسه مما يثير عقله ، فزاد من تحصيله من الفلاسفة آملاً تذوق الحقيقة العليا . وقرأ للفارابي ولابن سينا وغيرهما قراءة الناقد الذي يزمع إعادة تصنيف ما كتب ، والذي ظهر فيما بعد تحت كتاب (تهافت الفلاسفة) . ومعنى التهافت عنده التسرع بجهل ، ويقول إن البعوضة لأجل ضعف إبصارها تطلب ضوء النهار فإذا رأت ضوء السراج بالليل حسبت هذا السراج كوة أو فتحة من البيت المظلم يدخل منها ضوء النهار فترى بنفسها إلى السراج وتكرر المحاولة مرات وهي تحسب أنها متجهة نحو نور النهار حتى تحترق . وكان الغزالي يقصد بكتابه هذا نقد كلام الفلاسفة وهدم مذاهبهم لأنهم تسرعوا بجهالة كما يفعل البعوض .. وأحس الغزالي أن الدنيا مقبلة عليه لشهرة نالها وأنها تجذبه بأمنها إلى البقاء والمقام في بغداد ، وفي نفس الوقت تنادى به دواعي الآخرة إلى الرحيل ، ووجد أن خيراً له أن يحارب الدنيا ورذائلها .

هجر الغزالي كرسي التدريس لأنه شعر برغبة إلى حياة صوفية وقصد بيت الله الحرام ، وحج ثم توجه إلى الشام واعتكف في زاوية بالمسجد الجامع في دمشق ، حيث اشتغل بتأليف كتبه وترويض نفسه . وقد سميت المنارة التي كان يصلي فيها بالجزالية وهي معروفة إلى اليوم بهذا الاسم . ولبس الغزالي الملابس الصوفية الخشنة مع التقليل من الطعام والشراب ، وتنقل إلى القدر . حيث مسجد الصخرة ثم إلى حبرون (الخليل) زائراً ضريح إبراهيم ، وطاف بالمساجد والترب وآوى إلى القفار وكلف نفسه مشاق العبادات آملاً الطير . الموصل إلى رضا الرحمن .

وبعد سنين من النسك عاد إلى بغداد ، وهناك أظهر كتابه الضخم (إحياء علوم الدين) . وتوجه إلى نيسابور ليعلم فيها بالمدرسة النظامية ، ثم إلى مسقط رأسه في طوس حيث أقام بجوار بيته مدرسة للفقهاء وخانقاه للصوفية ووزع أوقافه على وظائف من ختم القرآن ، ثم وافاه الأجل المحتوم في الخامسة والخمسين من عمره .

في فلسفة الغزالي الأخلاقية

يتحدث الغزالي في الجزء الثاني من كتابه « إحياء علوم الدين » عن (كتاب آداب الأكل) وهو الأول من ربيع العادات ، وفيه يتكلم عن آداب حالة الأكل ، وما يستحب بعد الطعام ، وفيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل ، وآداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين ، وفي آداب الضيافة . أما الكتاب الثاني من ربيع العادات ويتكلم فيه عن آداب المعاشرة الزوجية وفيما على الزوج وفيما على الزوجة . والكتاب الثالث من ربيع العادات يتحدث فيه عن آداب الكسب والمعاش . أما الكتاب الرابع فهو عن الحلال والحرام . وفي الكتاب الخامس من ربيع العادات الثاني يتكلم عن آداب الألفة والأخوة ، وفي السادس عن العزلة ، وفي السابع عن آداب السفر ، وفي الثامن عن السماع والوجد ، وفي التاسع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومن كلام الغزالي في الجزء الثاني يبدو لنا الفيلسوف الأخلاقي الذي أضاف إلى الفلسفة الإغريقية ما نص عليه الإسلام من معاملة بين العبد وربّه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، وعرض الغزالي لهذه العلاقات عرضاً مؤسساً على فهم واع بنفسية الخلق ، وعلى ضوء ما خلفه فلاسفة الإغريق من بحوث نفسية واجتماعية وسياسية .

وتكلم الغزالي عن الخلق فيقول : « ليس الخلق عبارة عن الفعل ، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء . وليس هو عبارة عن القوة ، لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحد . وكل إنسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك ، وذلك لا يرجب خلق البخل ولا خلق السخاء . وليس هو عبارة عن المعرفة ، فان المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد ... بل هو الهيئة التي تعد النفس لأن يصدر منها الإمساك والبذل . فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة (١) .

ويقول الغزالي في تقديمه لمؤلفه « كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلب » وهو الكتاب الثاني من ربيع المهلكات ، ويقول : « ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض ، فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع ، وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها . ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقترب من الأفهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ، ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ، ثم بيان السبب الذي ينال به حسن الخلق : ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ، ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل . على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ، ثم بيان علامات حسن الخلق : ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء ، ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المحامدة فهي أحد عشر فصلا يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى » .

ويقصد الغزالي بالقلب هنا على حد تعبيره (١) : « لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين أحدهما ... قطعة لحم لا قدر له ، وهو من عالم الملك والشهاد إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين ، والمعنى الثاني هو لطيفة وبانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق ، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان ، وهو المخاطب والمعاقب المعاتب والمطالب . ولها علاقة مع القلب الجسماني ... والمقصود أننا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر أوصافها أحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها ، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها » .

وفي حديث الغزالي على الخلق والأخلاق يتحدث عن الفضيلة وأنها العقل

(١) نفس المرجع السابق ، ص : ٣

المحمود عقلاً وشرعاً . والعقل معنيان في رأيه .. « أنه قد يطلق ويراد به العلم حقائق الأمور ، فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب ، والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة » . وقد حدد الغزالي ما قصد عندما قال : « العقل المحمود » وأنه الوسط ، والوسط يقع بين طرفين ... والوسط وهو الفضيلة . والطرفان رذيلتان مذمومتان » . كما حدد الغزالي الفضيلة بأنها اعتدال أركان النفس الأربعة وقواها وهي : قوة الغضب وقوة الشهوة وقوة الحكمة وقوة العدل . ويرى أن حسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة ، واعتدال الغضب شجاعة ، فإذا حادت قوة الغضب عن قوة الاعتدال أصبحت تهوراً . وإن مالت إلى ناحية مضادة كانت جبناً ، والإفراط في الحكمة خبث في جانب وبه في آخر .

ونلاحظ تأثير الغزالي بآراء أرسطو وأفلاطون . وإن زاد عن قوى أفلاطون قوة العدل ، ولم يعرف عن أفلاطون إلا على أنها التوازن بين الشهوة والغضب والحكمة . على أن الآراء الإغريقية لم يقدمها الغزالي كما جاءت بل زواج بينها وبين الإسلام ، فهو يقول إن الحكمة كقوة من قوى النفس جاء بها القرآن الكريم في قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً » .

ويقول الغزالي عن قوة الغضب (١) .. « فخلق الله طبيعة الغضب من النار وعرزها في الإنسان وعجنها بطينته .. وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الانتقام . وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها . والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به . ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال . أما التفريط : فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك منموم ، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له . ولذلك قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار . فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً ، وقد وصف الله

(١) إحياء علوم الدين . الجزء الثالث ، ص : ١٦٨ - ١٦٩

سبحانه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالشدة والحمية فقال (أشداء على الكفار رحماء بينهم) . وطلب من نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار والمنافقين ويغلب عليهم . وأما الإفراط : فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج سياسة العقل والدين وطاعته ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار ، بل يصير في صورة المضطر . وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية : فرب إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار كما قال صلى الله عليه وسلم .

وأما الأساليب الاعتيادية : فهو أن يخالطوا قوماً يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية ، فيقول الواحد منهم : أنا الذى لا أصبر على المكر والمحال ولا أحتمل من أحد أمراً؟ ومعناه لا عقل فى ولا حلم . ثم يذكره فى معرض الفخر بجهله . فمن سمعه رسخ فى نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب . ومهما اشتدت نار الغضب وقوى اضطرابها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة ، فاذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً ، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر أن ينطقىء نور العقل وينمحي فى الحال بدخان الغضب ، فان معدن الفكر الدماغ ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولى على معادن الفكر ، وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه .. وقبح باطنه (الغضببان) أعظم من قبح ظاهره فان الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر .. فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالثمرة ... » ثم يتحدث الفاضل عن أثر الغضب فى الجسد فى حديث طويل .

وبعد أن يتحدث الغزالي عن الفضائل وأحكامها يرى أن السبيل إلى تحصيلها وبلوغها هو رياضة النفس مع العبادة ، فالرياضة والمجاهدة مع العبادة يرق القلب ويصفو وينزع إلى العمل الخير الطيب . وقد أعطى الغزالي أهمية

كبيرة للرياضة والمجاهدة ، وكان يؤمن بآثارها ونتائجها إذا عزم الفرد عزمًا صادقاً على التخلص من المرذول واكتساب المقبول . أما العبادة فأمرها سهل لأنها من أوامر الدين ، وهنا : لاحظ جمعاً بين الدين والعقل في تكوين الفضائل : التخلص من الرذائل .

ويرى صحة النفس تتأتى من الاعتدال في مزاج البدن فاعتداله هو صحة له ، والميل عن الاعتدال مرض فيه (١) .

و غاية الأخلاق عنده أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ، ويرسخ فيها حب الله ، فلا يكون شيء أحب إلى الفرد من لقاء الله عز وجل ، فلا يستعمل جمع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه . ويرى الغزالي أن النفس بطبيعتها تميل إلى الحق وتستلذ به ، وإنما ميل النفس إلى التلذذ بالباطل والميل إلى القبيح فهي أمور شنيعة تخرج عن طبع النفس ، ويتضح لنا من أقوال الغزالي أنه يرى سعادة الإنسان النفسية غاية للعمل الخلقى .

الغزالي في تصوفه

مع جنوح الغزالي إلى التصوف إلا أنه أبقى اعتبار الدين عنده كما هو ، وقد اتبع الغزالي نهج الفلاسفة الإسلاميين قبله كابن سينا والفارابي ، فبدأ بالمنطق ثم ينتقل منه إلى الإلهام . ويرى الغزالي أنه توجد ثلاث مراتب في الإيمان أو اليقين : مرتبة إيمان العامة الذين يصدقون ما يسمعون من أخبار ، ومرتبة معرفة العلماء الذين يصلون إليها بالاستنباط ، ثم مرتبة ثالثة وهي يقين العارفين الذين يشهدون الحق دون حجاب . فالأول سمعوا أن فلاناً بالدار يصدقوا ، والعلماء سمعوا فلاناً يتكلم في الدار فاستنبطوا أنه بالداخل ، وأصحاب المرتبة الثالثة دخلوا الدار ورأوا الرجل بأعينهم (٢) .

وقد عرفنا الغزالي مدرساً في المدرسة النظامية ثم رحيله إلى دمشق باحثاً عن الإشراف والوجد في سورية التي هي بلد تعلم التصوف .. ولا رأى كيف

(١) إحياء علوم الدين . جزء ٣ ، ص : ٦٠

(٢) دى بور (المرجع السابق) . ص ٢٢٧

يمكن الشك في ملاقاته الغزالي لهما (الإشراق والوجد) إلى حد ما ، وما كان ليحبس نفسه أياماً وشهوراً بأجمعها في متعب ضيق أو في غرفة صغيرة بمغارة لو لم يذق في هذه الغزالات سهجات باطنية . وقد صرح جازماً أنه كانت لديه وجدات أو أنه بحث عنها كما هو الأصح ، وقد قال إن حوادث الزمان ومهمات العيال — ويبدو أنه أهمل العيال — تغير في وجه المراد . وما وكده أن خلواته دامت مقدار عشر سنين انكشفت له في أثناءها أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها (١) .

وكان الغزالي يرى أن الأنبياء — وكان يؤمن بهم — بشر تكشف فهم ماهيات الأشياء وأنهم مبعوثون للعناية بما فيه خير الخلق ، وأنه لا شيء يمنع من تخيل أناس آخرين تكشف لهم عن الماهيات من غير أن يحملوا على القيام بأية رسالة كانت ويؤسس الغزالي رأيه هذا على نظرية وجود العالمين : العاة الظاهر والعالم الخفي ، أي الملك والملكوت . والعالم الظاهر تدركه الحواس بأعضاء الجسم . أما العالم الخفي فهو ما تدركه النفس . ولكن النفس لا تصل إلى هذا الإدراك بسبب قيود الجسم ، وإذا طهرت من ربطها الجسدية تحررت توأها الإدراكية . ولذلك في رأى الغزالي . فهناك علمان : علم حسي وليد التجربة البدنية والعقل ، وعلم خفي وليد النسو والايان . ويرى الغزالي أيضاً أن للقلب بابين : باب نافذ إلى الخارج الآخر نافذ إلى الباطن وإذ الملكوت وهو الإلهام والاستكشاف والوحى .

ويأتى الغزالي بقياس لطيف يشرح فيه فكرته : كعادته دائماً . فيقول : لو حفرنا حوضاً في الأرض ، فمن الممكن أن يأتيه ماء من جداول وأنهار على أطرافه وتصب فيه ، ومن الممكن أيضاً أن نتعمق في حفر الحوض أو البئر حتى نصل إلى مستقر الماء الصافي الذي ينبفجر من أسفل الحوض . ويكون ذلك أصفى وأدوم ، وقد يكون أغزر وأكثر . فالقلب مثل الحوض والعلم مثل الماء ، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار والجداول . وقد يمكن أن

(١) كارادوفو (عن المنقذ من الضلال) المرجع الأسبق . ص : ١٨٠

نطاق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس ، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله .

وانفجار هذه الينابيع عند فرد يؤوله إلى الحكم في المسائل ببراعة ويرى فيها ما لا يراه غيره . فالغزالي والصوفية يرون أن الزهد وسيلة منتظمة إلى بلوغ العلم ، وأن الوجد ينال بعد مدة طويلة تقضى في رياضيات الزهد .

ثم يتكلم الغزالي عن غاية العمل الروحاني وأنه تعديل للأهواء لا تقويضها ، ويتم هذا العمل بحمل الأعضاء ، عن إرادة ، على إنجاز أعمال ملائمة للفضيلة التي يراد اكتسابها كما تولد هذه الفضيلة في النفس بفعل العادة . ويرى الغزالي أن النفس إذا كانت مريضة فيلزمها (شيخ) هو طبيبها الذي يجب أن يعرف كل شيء عن حال المريض المتصوف الروحية ، « الشيخ المتبوع الذي يطيب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ألا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم . وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكتهم وأمات قلوبهم (١) (٢) » .

ويبين الطريق إلى معرفة الإنسان عيوب نفسه فيقول إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه : ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم . يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه . ثم يقول إن على من يريد معرفة عيوب نفسه أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته . وأن يطلب صديقاً صدوقاً متديناً فينصبه رفيقاً على نفسه ليلاحظ

(١) إحياء علوم الدين . الجزء الثالث ، ص: ٦١

(٢) وكم يطيب القارىء أن يتمهل قليلاً فلكوا في هذا القول ، ومحاولاً فقد مقارنة بينه وبين أساليب (العلاج) النفسى اليوم .

أحواله وأفعاله ، فإكرهه من أخلاقه وأفعاله وعبوبه الباطنة والظاهرة ينهبه عليه
ويبعد. أن يعرف الواحد عبوب نفسه يتخلص منها عن طريق رياضة النفس
ومجاهدتها فيتخلى عن الدنيا ومباهجها تماماً (أى يتخلى عن المهلكات) ،
ويسعى إلى الفقر والزهد ومراقبة النفس ومحاسبتها والتفكير في ذات الله سبحانه
وتعالى (أى يسعى إلى المنجيات) .

وبالتخلى عن المهلكات والسعى إلى المنجيات يبدأ الفرد طريقه إلى درجة
الكشف وتجلي له ذات الله سبحانه وتعالى ، وعندئذ سعادته ، وتحقق متعته .

آراء الغزالي في التربية

أثرت اتجاهات الغزالي الفلسفية والصوفية على آرائه التربوية تأثيراً واضحاً
وإذا أضفنا إلى ذلك الاتجاهات السائدة في عصره فسوف يتضح لنا مدى عمق
آرائه وأهميتها في سجل التطور التربوي . وكان الغزالي ينزع إلى الواقعية في
تفكيره ملتقياً أهمية إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة مع حرص شديد على
التطهر من الرذائل والتحلّي بالفضائل . ولم ينس الغزالي في غمرة اهتمامه بالدين
عنايته بالعلوم الدينية كالطب والحساب وبعض الصناعات . وقد عرفنا
الغزالي مدرساً في المدرسة النظامية ثم منشئاً لتكية صوفية في مسقط رأسه حيث
تلمذ عليه عدد كبير من المريدين ، وكان دائب السعي لتربية الأفراد تربية
صحيحة فبالأفراد تصلح المجتمعات ، حيث أنه كان يرى أن التربية للإنسان
قادرة على تكميل ما به من نقص . ويؤخذ على الغزالي أنه لم يهتم مطلقاً بتعليم
البنات ولم يظهر تحمساً للتعليم المهني ، ويلوح أن نزعتة الصوفية قد يكون لها
بعض الأثر في هذا الاتجاه حيث أنه لم يكن من الساعين وراء الأجور لقاء
الخدمات .

وقد اهتم الغزالي بالعلم والتعليم بل بلغ اهتمامه درجة جعلته يعتقد أن التعليم
الصحيح هو السبيل إلى التقرب من الله ، ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة :
وإذا كان للعلم هذه المنزلة فإن الغزالي قد استشهد بكلام الله عز وجل
وبالأنبياء والمرسلين وغيرهم من ذوى الرأى الحصيف للتدليل على رفعة شأن

العلماء ولتوضيح فضيلة العلم والتعليم ، كما أنه أكد وجوب التعاليم وإخلاص المعلمين في أعمالهم .

وهدف التعليم والتهذيب عند الغزالي إلى الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من الله ومن ثم إلى سعادة الدنيا والآخرة . ويبلغ الإنسان كماله باكتسابه الفضيلة عن طريق العلم ، وهذه الفضيلة تسعده في دنياه وتقربه من الله فيسعد في آخرته أيضاً . على أن الغزالي ذكر في أكثر من مناسبة أن العلم ينبغي أن يطلب لذاته فهو فضيلة في ذاته على الإطلاق أي يطلب المتعلم العلم لما للعلم من قيمة ومن لذة ومتعة يستشعر بها طلب العلم .

المنهج عند الغزالي

قسم الغزالي العلوم إلى ثلاث مجموعات :

١ - علوم مذمومة قليلها وكثيرها . وهذه لا يرجى نفع منها في الدنيا أو الآخرة كعلوم السحر والتنجيم وكشف الطوائع . وهذه تؤدي إلى الإضرار بدارسها والمصدقين لها وقد يتشككون في الله ، بل قد يستخدمها دارسها في الشر .

٢ - علوم محمود قليلها وكثيرها مثل العلوم الدينية والعبادات وهذه تؤدي إلى تطهير النفس والسمو بها عن الرذائل والشرور ، وتقرب الإنسان من ربه .

٣ - علوم يحمد منها قدر معين ، ويلزم التعمق فيها ، وهذه هي التي تسبب في ارتباك الناس وتشككهم وقد تؤدي إلى الإلحاد مثل الفلسفة .

ويقسم الغزالي العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين :

(أ) فروض العين أي العلوم المفروضة معرفتها على كل مسلم مثل علوم الدين وعلى رأسها دراسة كتاب الله عز وجل .

(ب) فروض الكفاية أي العلوم التي لا يستغنى عنها في سير أمور الدنيا مثل علوم الحساب والقتب وبعض الصناعات كالزراعة والحياكة .

وقد أفاض الغزالي في الجزء الأول من كتابه « إحياء علوم الدين » بتقسيماته

المتعددة للعلوم المختلفة ، فتكلم عن العلوم الشرعية والعلوم المحمودة . كما قسم الفلسفة إلى خمسة فروع هي : الرياضيات والعلوم المنطقية والإلهيات والطبيعات والسياسيات والحلقيات .

هذا وقد قوم الغزالي العلوم وفق معايير واضحة يمكن بيانها كالآتي (١) :

١ - مدى منفعة العلوم للإنسان في حياته الدينية وفي دنياه الآخرة من حيث تطهير نفسه ، وتجميل خلقه ، وتقريبه من الله تعالى ، وإعداده لدنيا الخلود مثل القرآن الكريم والدين .

٢ - مدى منفعتها للإنسان من حيث ضرورتها ، وخدمتها لعلوم الدين . مثل علوم اللغة والنحو .

٣ - مدى منفعتها للإنسان في حياته الدنيا . مثل علم الطب ، والحساب والصناعات المختلفة .

٤ - مدى منفعتها . من حيث ثقافته ، واستمتاعه بالعلم وتدخلها في حياته الاجتماعية : مثل الشعر والتاريخ والسياسة والأخلاق .

وينظم المنهج الدراسي الذي اقترحه الغزالي بحسب أهمية العلوم إلى :

أولاً : مجموعة القرآن الكريم وعلوم الدين كالفقه والسنة والتفسير .

ثانياً : مجموعة اللغة والنحو ومخارج الحروف والألفاظ وهي علوم تخدم علوم الدين .

ثالثاً : فروض الكفاية وهي علوم الطب والحساب والصناعات المختلفة بما فيها السياسة .

رابعاً : العلوم الثقافية كالشعر والتاريخ وبعض فروع الفلسفة .

وقد رتب الغزالي هذه العلوم بحسب أهميتها ، ونلاحظ اهتمامه بالعلوم الدينية والحلقيات ، كما اهتم بالعلوم الضرورية لحياة المجتمع : كما أكد النواحي الثقافية .

تربية الولد

وقد أشرت إلى إهمال الغزالي تربية النبات واهتمامه بتربية الصبيان وللغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » آراء كثيرة فيما يختص بتربية الصبيان منها :

١ - أن يشغل وقت الفراغ حتى يبعد الصبي عن العبث والمجون ، وخير طرائق شغل هذه الأوقات تعويد الولد القراءة وخاصة قراءة القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار .

٢ - يتهذب الصبي عن طريق تعليمه الدين وقيامه بالعبادات اللازمة ومعرفة علوم الشرع وتخويفه من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والحياة والفحش .

٣ - وينصح الغزالي بمراعاة التوسط والاعتدال في تهذيب أخلاق الصبية وينصح بإبعاد الصبي عن قرناء السوء وبعدم تعويده على التراخي والكسل أو التساهل في التعامل معه ، ويصر على إبعاده عن التدليل والتنعيم .

٤ - يهتم الغزالي بموضوع اللعب بالنسبة للصغار فهو وسيلة يعبرون بها عن فطرتهم وينصح بأن يلعب الصبي لعباً جميلاً بعد انصرافه من الكتاب ، ولا يرى الغزالي أن اللعب مجرد نشاط تلقائي يقوم به الصغار فحسب ولكن له ثلاث وظائف أساسية : فاللعب يساعد على ترويض جسم الصغير وتنمية عضلاته وتقويتها ، كما أنه يساعد على إدخال السرور في قلب الصغار ، وثالثاً فهو مريح للصبية من تعب الدروس في الكتاب .

٥ - ينصح الغزالي بعدم التماذي في عقاب الصبي وبالإقلال من التأنيب والتشهير بمساوىء الصغار .

٦ - طالب الغزالي بتهذيب الفطرة وتعديل الغرائز .. « فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما أو قهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً ، ولو أردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه ، ولعل نهم هذه الغرائز عند الطفل ضرورة لحسن تربيته . ولذلك فإنه يبين أن هذه النزعات الفطرية تصل شدتها في سن معين ، وهو يعبر عن هذا بقوله إن بعضها

يتكون على مر الزمن . ولذلك فهو يرى ضرورة دراسة المعلم لنفسية الصبية لأنهم ليسوا سواسية بل إن هناك فروقاً بين الأفراد .

ويضيف الغزالي عديداً من النصائح في تربية الطفل تتعلق بمخائص نموه وتنشئته تمتد إلى الكثير من دقائق حياته ، ومنها (١) :

١ - ألا يستعمل في حضائنه وإرضاءه إلا امرأة صالحة متديونة .

٢ - أن يحجب إليه من الثياب البيض دون الملون .

٣ - أن يمنع من النوم نهاراً فإنه يورث الكسل .

٤ - أن يعلم الولد آداب الأكل .

٥ - أن يعود ألا يكشف أطرافه ولا يسرع المشى ولا يرخى يديه .

٦ - أن يمنع من الفخر على أقرانه بشيء يملكه والده .

٧ - إذا ضربه المعلم ألا يكتر من الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد .

وينصح الغزالي المعلم المرشد بأن يتحلى بصفات منها :

١ - الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه .

٢ - أن يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فلا يطلب على إفادة

العلم أجراً ولا يقصد جزاء ولا شكراً ، بل يعلم لوجه الله تعالى .

٣ - ألا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بأن يمنعه من التصدى لرتبة

قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفى قبل الفراغ من الجلى .

٤ - أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

٥ - أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي

وراءه كعلم اللغة العربية إذ عاداته تقبيح علم الفقه ، أو معلم الفقه عاداته تقبيح

علم الحديث والتفسير .

٦ - أن يقتصر بالتعلم على قدر فهمه فلا يلقه إليه ما لا يبلغه عقله .

٧ - أن المتعلم القاصد ينبغي أن يلقي إليه الجلى اللائق به ولا يذكر له

أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه .

٨ - أن يكون المعلم عاملاً بعلمه لئلا يكذب قوله فعله .

• • •

كانت هذه بعض آراء أبي حامد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي . .
عمرها أكثر من تسعة قرون، وكأنك وأنت تقرأها وتتمتع فيها إنما تقرأ العالم
نفسى معاصر ، أو مرب حديث ، نجد فى بعض أقواله صدق وإعجاباً لما فيها
من حداثة وتشبع بالاتجاهات الإنسانية النبيلة والفهم الواعى للنفس البشرية .

ابن خلدون

عبد الرحمن بن خلدون مفكر إسلامي عبقرى ، سبق أعظم المفكرين فيما ابتكره من فلسفة التاريخ وفلسفة الاجتماع . وقد سافر كثيراً وتولى مناصب عدة في المغرب الإسلامي وفي الأندلس ، ثم في مصر . ودبر - المؤامرات ضد حكام ، وأحدث انقلابات ، وشن الحروب ، وكان يكتب ويؤلف . وكانت أحوال المسلمين في الغرب تسودها الفرقة وقد بدأت عوامل التفكك تصيب قوتهم وبأسهم وتبزق قلاع مدنيتهم وفي غمرة هذا الوهن ولد عبد الرحمن بن خلدون .

ولد ابن خلدون في تونس عام ٨٧٣٢ (١٤٣٢ م) ، وما زال البيت الذى ولد به قائماً في شارع تربة الباي حيث تشغله مدرسة الإدارة العليا بالعاصمة التونسية (١) . ويقول ابن خلدون مؤرخاً حياته إنه قرأ القرآن على الأستاذ أبى عبد الله محمد بن نزال الأنصارى ، ودرس عليه كتاباً حمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الخطيب في الفقه . ثم درس على كثيرين من أهل العلم ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الأيلى ، ويقول . . . « لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكيمية والتعليمية (٢) ويقول . . . « ولم أزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل . متقلداً بين دروس العلم وحلقاته ، إلى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب الأعيان

(١) عل عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون . ص : ٢٤ - ٢٥

(٢) الأب يوحنا قمبر : مقدمة ابن خلدون . ص : ٦ - ٨

والصدور وجميع المشيخة ، وهلك أبواى رحهما الله ولزمت مجلس شيوخه
أبي عبد الله الأيلي ، وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين »
« . . . واستدعاني أبو محمد بن تافراكين ، المستبد على الدولة يومئذ
بنونس ، إلى كتابة العلامة عن السلطان أبي إسحق . . . فكتبت العلامة عن
السلطان ، وهى لله الحمد والشكر لله ، بالقلم الغليظ . ما بين البسمة وهو
بعدها من مخاطبة أو مرسوم . . . »

« . . . وقد كنت منطوياً على الرحلة من أفريقية ، . . فلما دعيت إلى
هذه الوظيفة سارعت إلى الإجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب . وكان
كذلك ، فأنا لما خرجنا من تونس - لمحاربة أبي زيد صاحب قسنطينة -
نزلنا بلاد هواره ، وزحفت العساكر بعضها إلى بعض . . . وانهمز صفنا
ونجوت أنا إلى أبة . . . ثم تحولت إلى سبتة . . . »

ثم يذكر ابن خلدون أن السلطان (أبو عنان) عاد إلى فاس وجمع أهل
العلم للتخليق بمجلسه ، وكتب إليه يستقدمه إليه ، فذهب ، في سنة ٧٥٥ هـ
ونظمه في أهل مجلسه العلمي ، وألزمه شهود الصلوات معه ، ثم استعمله في
كتابته والتوقيع بين يديه ، ووظيفة التوقيع هى كتابة أوامر السلطان في ايجاز
بليغ وكانت من أرقى مناصب الدولة . وكانت هذه فرصة سانحة للشاب أن
يلتقى بمختلف السفارات التى ترد إلى بلاط فاس : ونما مركز ابن خلدون
عند السلطان ، فكثرت حساده . ثم يقول ابن خلدون : . . . « وكان قد حصلت
بينى وبين الأمير محمد (١) : صاحب بجاية من الموحدين ، مداخلة أحكمها
ما كان لسلفى فى دولتهم (٢) ، وغفلت عن التحفظ من مثل ذلك من غير
السيطان - فما هو إلا أن أشغل بوجعه ، حتى نمت إليه بعض الغواة أن صاحب

(١) هو الامير أبو عبد الله محمد الحفصى صاحب بجاية الخاوع ، وكان في ذلك الوقت أميراً

في فاس .

(٢) يقصد ابن خلدون بهذا من أن جدي الاول والثاني قد وليا في عهد بنى حفص

ولاية تونس .

بجاية معتمل في الفرار ليسترجع بلده . . . فانبعث السلطان لذلك ، وبادر بالقبض عليه . وكان فيما نمي إليه أنى داخلته في ذلك ، فقبض على وامتحنني وحبسني . . . وهلك السلطان . . . خاتم تسع وخمسين (١) . وكان ابن خلدون قد رفع إليه قسيمة مؤثرة طالباً العفو ، ولكن الموت عاجل السلطان ، ثم أطلق القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر سراحه ، وأعادته إلى ما كان عليه من منزلة .

ولكن ابن خلدون لم يكن راغباً في الاستمرار في مكان واحد حتى على ما كان يناله من حسن وفادة ، فقد طالب الإذن من الحسن بن عمر . فلم يسمح له . وقد حدث أن تأمر ابن خلدون ضد مطلق سراحه الحسن بن عمر . وكان لا يفتأ ينتهز الفرص ليرتقى المناصب الأسمى . وقد عين كاتب السر والإنشاء في عام ٧٦٠ هـ في عهد سلطان فاس أبي سالم ، وانتهج سبيلاً جديداً في كتابة الرسائل متحرراً من السجع ، كما نظم العديد من القصائد .

ثم تولى (خطة المظالم) أى القضاء ، ولكن منافسيه استطاعوا أن يوغروا صدر السلطان عليه ، بل عمل منافسوه على تشويه سمعته وسمعة السلطان حتى يهبتوا لثورة . ونجحت الثورة عام ٧٦٢ هـ وكمهدنا بابن خلدون فقد انضم غداة فوز الانقلاب إلى صفوف المنتصرين . وعاد إليه مجده وزيادة . ولم يظل بقاء ابن خلدون في منصبه ، فقد رغب في السفر ، وبعد مفاوضات مع السلطان الذى خشى أن ينشئ ابن خلدون وينضم لأعدائه ، سمح له بالسفر إلى الأندلس .

وكان عام ٧٦٤ هـ حين قدم ابن خلدون على غرناطة وسلطانها ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب . وقد استقبل ابن خلدون أحسن استقبال ، ويقول عن علاقته بالسلطان . . . « ثم نظمتني في علية أهل مجلسه ، واختصني بالنجى في خلوته والمراكية في ركوبه ، والمواكلة والمطايبة والمناكحة في خلوات أنسه . وأقامت عنده . . . وسفرت عنه سنة خمس وستين ، إلى الطاغية ملك قشتالة

(١) عن كتاب « التعريف بابن خلدون وزحلته غربا وشرقا » . ص ٦٦ - ٦٨ .

بومئذ بطره بن الهنشة بن أذقونش (١) ، لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين بنوك الردوة ، بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياذ والمقربات بمراكب للذهب الذئبية . فتمت الطاغية باشبيلية . فطالب الطاغية المقام عنده وأن يرد على تراث سلفى باشبيلية وكان بيد زعماء دولته ، فتناديت من ذلك بما قبله . ثم استدعى ابن خلدون زوجته وأولاده ، وكانوا في ضيافة خالهم بمسندنية ليقيموا معه . ولكن لم يستمر له المقام بالأندلس بعد أن كثرت حساده وكادوا له عند السلطان .

رسافر إلى بجاية فاحتزل السلطان صاحب بجاية لقدمي ، وأركب للفاني ، وتمافت أهل البلد على من كل أوب بمسجون أعطافى ويقبلون يدي . . وعاش فترة من الزمن حتى كثرت السواية عند السلطان في ابن خلدون والتحذير من مكانته ، وشعر هو بذلك فطالب الإذن في الانصراف ، وسافر مكره .

ربمضى ابن خلدون سنوات في الترحال والاشتغال بالسياسة والانقلابات . الحروب وخلع الحكام ومناصرة أصحاب السلطنة ، حتى كان عام ٧٨٠ هـ . وفرد أتعبه مرض شديد فاستأذن سلطان تونس في القدوم إليها ، فاستحذه لقدمي . ويتمول ابن خلدون فرافته (يقصد السلطان أبا العباس) بطاهر سوسة ، فحيا وفادتي ، وبر ممدى ، وبالغ في تأنبي وشاورني في همامت أموره ، ثم ردني إلى تونس وأويت إلى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمة ، وبعث إلى الأهل والولد وجمعت شملهم في مرمى تلك «نعمة ، وألقت عمما التسيار وأفاضوا في السوايات عند السلطان فلم تنجح ثم كثرت سواية البطانة بكل نوع من أنواع السوايات . ولما كان شهر شعبان من أربع وثمانين . وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية . فمارة إلى الاسكندرية ، فتطارحت على السلطان ، وتسلت إليه في تخاية سبيلي لقضاء فرضي (٢) ، فأذن لي في ذلك .

(١) هو بطرس (بيدرو) القاسى ملك تشالة .

(٢) يقصد أداء فريضة الحج .

رأفام في البحر اربعين ليلة وصل بعدها إلى الاسكندرية ، ثم رحل إلى
القاهرة. بعد أن عجز عن تهيئة العدة للحج . ويصف القاهرة بقوله ...
فانتقلت إلى القاهرة ، حاضرة الدنيا ، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج
النر من البشر . وإيوان الإسلام ، وكروسي الملك . . . ولما دخاتها ، أقمت
أياما ، وانتال على طلبة العلم بها ياتسون الإفادة ، مع قلة البضاعة ، و
يوسعوني عذراً ، فجلست للتدريس بالجامع الأزهر منها (١) . ثم كان
الاتصال بالسلطان (٢) فأبر مقامى ، وأندى الغربية ، ووفر الجراية من
صدقاته شأنه مع أهل العلم . وانتظرت لحاق أهلى ووالدى من تونس . .
وبينا أنا في ذلك ، إذ اضبط السلطان قاضى المالكية فى دولته ، لبعض النزعات
فغزله . . . فلما عزل هذا اتقاضى المالكى سنة ست وثمانين ، اختصنى
بهذه الولاية . . . فمقت بما دفع إلى من ذلك المقام المحمود . . . لا تأخذ
فى الله لومة ، ولا يرغبى عنه جاه ولا سطوة . . . معرضاً عن الشفاعات
والوسائل . . . فكثرت على الشغب من كل جانب وأظلم الجو بينى وبين أها
الدولة (٣) . ووافق ذلك مصابى بالأهل والوالد ، وصاوا من المغرب فى
السفين ، فأصابها قاصف من الريح فغرقت ، وذهب الموجود والسكن
والمولود ، فعظم المصاب والجزع ، ورجح الزهد ، واعتزمت على الخروج
من المنصب . . .

وقد تأثر ابن خلدون عميقاً بعد أن فقد من أهله مكنه أى زوجته وبناته
الخمس أى المولود وماله أى الموجود ، ونجا والداه محمد ودلى فى كارثة
السفينة . وكان أن ألح فى إخلائه من وظيفته ، ونفذ السلطان طلبه . وتفرغ
ابن خلدون للتدريس والقراءة والتأليف . ثم سافر لأداء فريضة الحج وعاه

(١) وكان يدوس الفقه المالكى .

(٢) هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برفوق .

(٣) يقصد ابن خلدون إلى ما كان يسود انفساء بن فوضى واضطراب وفساد ، أو أنه أعرض
عن الهوى والاهراض مؤثراً طريق الحق والدلالة على حكيما ما كان يسلكه القضاء وتنشد .

إلى القاهرة عام ٧٩٠ هـ . ثم دعاه السلطان إلى منصبه في القضاء المالكي . وقد حدث أن غزا تيمورلنك أرض الشام في أوائل عام ٨٠٣ هـ إبان سلطنة زين الدين أبو السادات فرج في القاهرة ، وقد فرغ الناصر فرج لهذا الخبر وخرج بجيوشه لصد تيمورلنك ، وكان معه ابن خلدون . ومع أن المصريين صمدوا للتر إلا أن بعض الأمراء انسحبوا إلى القاهرة بعد أن حدث خلاف في معسكر السلطان ، وكانوا يزمعون تدبير مؤامرة لخلع السلطان ، فتر دمشق وكان معسكراً بها وارتد للقاهرة .

والظاهر أن ابن خلدون عاود هويته القديمة وهي التقرب من صاحب السلطة المنتظر على حساب ولي نعمته ، فسعى إلى التقرب من تيمورلنك ، وتدل من سور المدينة التي يربط تيمورلنك وجيشه خارجها . ويذكر أن للغازي كان يعرف شهرة ابن خلدون وعلمه وأنه طلب منه أن يكتب له بوصفاً لبلاد المغرب . ويظهر أن ابن خلدون كان يرجو الانتظام في بطانة الفاتح والحظوة لديه ، ولكن الرياح لم تأت بما تشتهي السفن ، حتى دب السأم إلى قلبه من البغاء في دمشق . والظاهر أن موقف ابن خلدون من تيمورلنك الذي وعد بالأمان لسكان دمشق وعندما دخلها لم يبر بوعده ، قد هز مكانة ابن خلدون مام الناس . وكيفما كان الأمر فقد استأذن ابن خلدون تيمورلنك ، في العود إلى القاهرة فأذن له . وفي طريقته إليها دهمه اللصوص وسلبوه كل ما كان معه .

ومع ان ابن خلدون كان في الرابعة والسبعين من عمره إلا أن روحه لوثابة كانت شابة تدفعه إلى العودة إلى كرسي القضاء نكاية في حساده وأعدائه وحباً في السلطة والتقرب من السلطان . وتولى منصب القضاء للمرة الثالثة وكثرت الدسائس حوله حتى عزل للمرة الثالثة ، وتولى منافسه البساطي مكانه . ولم يفت عزله في عضده ، فحارب مستخدماً أسلحة أعدائه حتى عزل البساطي بعد ثلاثة أشهر ، وعين ابن خلدون للمرة الرابعة ، واستمر في منصبه عاماً وشهرين ثم عزل ليعود البساطي مكانه ، وعزل البساطي

بعد سنة وعاد ابن خلدون للمرة الخامسة ثم عزل وتولى آخرون . تم عاد ابن خلدون للمرة السادسة وكان في الثامنة والسبعين ، ولم يمتص في منصب قاضي المالكية إلا بضعة أسابيع توفي بعدها تاركاً المنصب إلى الأبد .

مؤلف ابن خلدون الخالد :

لابن خلدون مؤلف أذاع اسمه وخلده كفكر اجتماعي وفيلسوف ومؤرخ له فلسفة لم يعهد لها السابقون وأثرت في تفكير اللاحقين . والكتاب هو (كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) . والكتاب في سبعة مجلدات ، ولعل أشهرها المجلد الأول وهو ما يعرف باسم (مقدمة ابن خلدون) .

وفي هذه المقدمة (١) (وتصل إلى حوالى ستمائة صفحة) يتكلم ابن خلدون في الباب الأول في قسط العمران من الأرض ما فيها من الأقاليم وتأثير الهواء في ألوان البشر وأخلاقهم وأختلاف أحوال العمران من الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم .

ويرى بعض المفكرين في هذا المبحث شياً كبيراً بما أتى به علماء أوروبا في نظرية النشوء والارتقاء بعد ابن خلدون بخمسة قرون (٢) .

ويرى ابن خلدون أن موضوع علم العمران هو المجتمع الإنساني ؛ وأن الاجتماع الإنساني ضرورى فالإنسان مدنى بطبعه . وهذه الضرورة ناتجة عن حاجتين ، حاجة الإنسان إلى الغذاء وحاجته إلى الدفاع عن نفسه ، وكلتاها لا تمان إلا بالتعاون . فان قوت يوم من الحنطة ، مثلاً ، لا يحصل إلا بعلاج من الطحن والعجن والطبخ ، وكل من هذه الأعمال الثلاث يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناع عديدين من حداد ونجار وفاخورى ، عدا عما يحتاج إليه في تحصيل الحنطة من زراعة وحصاد ودراس إلى غير ذلك . ثم لما كان العدوان طبيعياً فى الحيوان ، وكان الإنسان عاجزاً عن دفع الحيوانات المفترسة ، احتاج إلى آلات تنوب له عن جوارح الحيوان ،

(١) من منظفات من مقدمة ابن خلدون مأخوذة من نسخة المكتبة التجارية

(٢) محمد لطفى جمة . تاريخ فلاسفة الإسلام فى المشرق والمغرب . ص . ٢٢٩

فاحتاج إلى الصنائع فالتعاون . فالاجتماع إذاً طبيعي ، ضرورى لبقاء النوع (١) ثم يتولى ابن خلدون إن فى طباع الناس كما فى طباع الحيوان ميولا عدوانية وظلماً ، ولذلك كان لا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ويقيم العدل ، فيقوم واحد من الناس تكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة .. وهذا معنى الملك .

ويقول عن الأرض إنها فى عرف الأقدمين كروية الشكل ، محفوفة ببحر محيط ، فكأنها عنبه طافية على الماء ، وأن ما انكشف منها لنصف كرتها أو أقل ، وأن ما عمر منها لنحو ربع ما انكشف . ويقول إن الشطر المعمور مقسم إلى سبعة أقاليم ، وتختلف الأقاليم فى درجات حرارتها ، وأن لكل إقليم أثراً عميقاً فى المجتمع ، يظهر فى الأجسام والعقول والأخلاق وبالتالي فى مختلف نواحي الحياة .

وأول الأقاليم خط الاستواء فى الجنوب وآخرها الإقليم السابع فى الشمال ، وهى تتدرج من أقصى الحر جنوباً إلى أقصى البرد شمالاً . وأن أهل الأقاليم الثلاثة الوسطى أرقى علوماً ، وصنائع ، وملابس ، وأقواتاً ، وأعدل أجساماً ، وألواناً ، وأخلاقاً ، وأدياناً .

ويعطى ابن خلدون الفصل الأول من مقدمته سبباً آخر لتباين المجتمعات وهو تباين البقاع فى الخصب والجوع . ويقول إن للخصب أثراً سيئاً فى المجتمع ، والفقر أفضل للناس لو يعامون : ويتغذى سكان البقاع الخصبة بالحبوب والخنطة والفواكه ، لهم منها ما شاءوا ، فتولد كثرة الأغذية فضلات رديئة فى أجسامهم ، وينشأ عن ذلك انكساف فى اللون ، وضخامة فى الجسم ، وقبح فى الشكل ، وبلادة وغفلة . أما أهل القفار فأقواتهم الألبان واللحوم ، يعيشون على الإقلال ، فتصفو جبلتهم ، هم أحسن أجساماً ، وأعدل أخلاقاً ، وأثقب اذهاناً ، ألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى ، وأشكالهم أتم .

(١) الأب يرحمنا قبر . س: ٢٣ .

ويرى أن أهل الدين قليلون بين المترفين وسكان المدن والأمصار ،
الخصب أثره السيء . وهؤلاء تهلكهم الجماعات لأنهم اعتادوا الشيع .
ديؤمن ابن خلدون بأثر الجوع على صفاء الذهن ، وإعداد المتصوفين إلى
الاتصال بعالم الروح .

وفي الباب الثاني من المقدمة يتكلم ابن خلدون في العمران البدوي والأهم
وحشية والقبائل ، وما يعرض في ذلك من المباحث في طبيعة البداوة والحضارة ،
والفرق بينهما من حيث الأنساب والعصبية والرياسة والحسب والملك والسياسة
وغير ذلك .

والدارس لهذا المبحث يجد فيه ملامح أصيلة للعلم الذي نسميه اليوم (علم
الاجتماع) لأن قوام هذا العلم هو دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن
القوانين التي تخضع لها .

ويرى ابن خلدون أن البداوة طور طبيعي على الحضارة ، والبدو أنواع
فمنهم من يعيش من الزراعة ، وبعضهم من السائمة كالغنم والبقر ، وبعضهم
من الإبل . ويرى أن للبدو خللا يفضلون بها الحضر ، حاصلة عن أفقرهم ،
وحياة البادية ، وهم أقرب إلى الخير ، ممسكون عن الشهوات والفحشاء لأنهم
أقرب إلى الفطرة ، وأفقر حالا ، وأجذب أوطاناً ، الترف عليها ممنوع ،
الملاذ مفقودة ، وهم أشجع من الحضر وأشد بأساً وأعنف انقياداً .

والقبيلة نواة البدو الاجتماعية . . . ويتعاضد البدو بالعصبية وهي عبارة
لما تتمتع به القبيلة أو الأسرة من القوة والجاه . وهذه العصبية هي منشأ الرئاسة
والسلطان ، فالقبيلة مجتمع بشري ، وللرئاسة نشأة وزوال ، فهي كائن فاسد
ككل عوارض الحياة ، وإنما نهايتها في العقب الواحد أربعة أجيال .

ويهاجم ابن خلدون أخلاق العرب ويتهمهم بالوحشية وبقسوتهم في
فتوحاتهم ، ويقول عن العرب إنهم أمه وحشية تقوم فتوحهم على النهب ،
ولا يتغلبون إلا على البسائط السهلة . ولا يقدمون على اقتحام الجبال أو
الخصاب لصعوبتها (١) .

(١) نلاحظ جودة من العوالم في مزاعم ابن خلدون . فقد فتح العرب الشام وفارس
وشمال أفريقيا والاندلس وهي هضاب وعرة ، ولم يخربوها ، بل أقاموا فيها العمائر كما تشهد
بذلك الآثار وكتب الفرنجة أنفسهم . ويلوح أن الحسومة بين العرب والبربر في شمال أفريقيا
(وقد نشأ ابن خلدون بين البربر) هي التي صبغت أقوال ابن خلدون بالتميز ضد العرب

وفي الباب الثالث يتكلم ابن خلدون في الدولة العامة ، والملك والخلافة والمراتب السلطانية . ويعلل ابن خلدون لأسباب السيادة وتشديد الدول ، وكيف تحفظ الإمارة ، وشروط السلطة والخلافة وطبائع الملك ومعنى البيعة وولاية العهد ومراتب السلطان ، ودواوين الدولة وجندها وأساطيلها وشاربها وقواعد الجند والحرب ، وأسباب ثبوت الدولة وسقوطها .

ويقول ابن خلدون إن نشأة المجتمع بدعوة ، وعصابة في قبيلة ، ما غايته تأسيس دولة وازدهار حضارة . ونشأة الدولة فتح ، ولفتح أسباب . والسبب الأول هو القوة ولا تنهياً القوة للقبيلة إلا إذا سلمت من آفة الخصب والملاذ ، وسلمت من سيطرة أجنبي ومن انقياد . والسبب الثاني هو هرم الدولة المرموقة ، أما إذا كانت هذه الدولة قوية فلا يتم للقبيلة غزو وفتح .

ويقول إن للحضارة ظواهر ترافقها . وقد ضمنها الأبواب الرابع

والخامس والسادس على التوالي :

أولاً : الظاهرة الاجتماعية ، وهي استقرار وترف . ففي الحضارة بناء مدن واستقرار ، وإسراف في الترف والملاذ . ويرى أن البناء في الدولة محتاج إلى التعاون ومضاعفة القدر البشرية ، فلا تعظم المباني إلا إذا عظمت مقدرات الدولة . وأن بعض الآثار قد تحتاج إلى دولة متوالية لبنائها ، فتأتي آية في المتانة والعظمة ، حتى لتعجز الدول عن هدمها كما عجز الرشيد عن هدم إيوان كسرى ، والمأمون عن هدم الأهرام . وأن مباني العرب قليلة بالنسبة لقدرتهم لأن بدوياً صرفتهم وفتحاً شغلهم ودينياً نهاهم عن الإسراف . ويرى أن أهل المدن متأنقون في أكلهم ولباسهم تأنقهم في مبانيهم ، طالبون للملاذ وإشباع الشهوة ، مزدحمون على الكمال ومناحي الترف .

ثانياً : الظاهرة الاقتصادية ، وجوه المعاش ، وفيه مسائل في الرزق والكسب وأنه قيمة الأعمال البشرية . ويرى أن الصنائع بسيطة ومركبة ، والبسيطة حاصلة في العمران البدوي ، مستعملة في الضروريات ، والمركبة في كماليات الحضرة ، يستنبطها التفكير ، ويتأنق فيها العمران . ويرى

ابن خلدون أن الصنائع كثيرة ، منها حقيرة كالبناء والنجارة والحياكة ، ومنها شريفة كالتوليد والطب والخط والوراقة والتعليم والغناء . ويرى أن الصنائع تابعة للحضارة ، تنمو بنموها ، وترسخ برسوخها ، وتكثر بكثرة طالها .

ثم يتكلم ابن خلدون قائلاً إن التملق مقرب من السلطان ، مفيد للجاه كالمال ، وأن الترفع خلقت ذميمة في أرباب العلوم والفنون ، يتوهمون في أنفسهم الكمال . ويرى بعض المفكرين أن مبحث ابن خلدون في الاقتصاد من قبيل ما يسميه أهل هذا الزمان (الاقتصاد السياسي) ، و (الاقتصاد الاجتماعي) بل إن كثيراً من مبادئ هذا الفصل صارت بنوراً لما دونه كارل ماركس في كتابه (رأس المال Daskapital) (١) . بل إن جوستون بوتول (٢) يقول « وكانت حاسة التنبؤ الاقتصادي مرهفة كذلك عند ابن خلدون ، فلديه فكرة واضحة عن تكوين الأسعار ، وعملية العرض والطلب ، وقد خصص فصلاً بأكمله لحركة الأسعار (كالمواد الغذائية والسلع) في المدن وأدرك ابن خلدون تأثير الأحداث السياسية على الحياة الاقتصادية ، وهكذا ارتبطت نظريته في التطور السياسي بنظريته عن الآثار الاقتصادية لهذا التطور » .

ثالثاً : الظاهرة الثقافية : العلم والتعليم ، ويرى ابن خلدون أن العلم من طبائع العمران ، ويزدهر حيث يعظم العمران . ثم يعرض ابن خلدون لتاريخ جميع العلوم والفنون المعروفة في عصره ، حتى فنون السحر والتلسمات والزيجرة وأسرار الحروف والطب الروحاني ، ثم أفاض في الكلام عن تاريخ التربية والتعليم عند كثير من الأمم الإسلامية في المشرق والمغرب موضحاً ما ينبغي أن تسير عليه التربية والتعليم في مختلف مراحل الطفولة والشباب .
لويقسم ابن خلدون العلوم إلى أصناف ثلاثة : علوم لسانية ، وعلوم

(١) محمد الطي جمعة : (المرجع الأسبق) ص ٢٣ .

(٢) جوستون بوتول (ترجم: غنيم عبدون) ابن خلدون - فلسفته الاجتماعية ص ٥١ .

ثقيلة ، وعالوم عقلية . أما العلوم اللسانية فهي اللغة والنحو والبيان والأدب أو الإجابة في فني المنظوم والمثور . ويرى أن ملكة اللسان العربي تحصل بكثرة الحفظ من كلام العرب ، ويرى أنه من النادر أن يجيد فرد واحد في الشعر والنثر معاً ، لأنهما من الملكات ، وإذا حصلت ملكة عسر الحصول على ملكة أخرى من نوعها . وينصح المقلوبون على الشعر بكثرة حفظه وكثرة نظمه ، ومراجعة المنظوم بالنقد والتنقيح ، وترك الرديء منه ، والعدول عن كثرة المعاني في البيت الواحد ، ويرى أن صناعة النثر والشعر في حفظ الألفاظ وتركيبها ، أما المعاني فهي حاصلة لكل ذي فكر .

أما العلوم الثقيلة فهي مأخوذة عن الكتب والسنة ، وهي تدور حول قراءة القرآن وتفسيره ، وإسناد الحديث وتصحيحه ، واستنباط قوانين الفقه . وتشمل العلوم الثقيلة كتاب الله والسنة ومنها يعرف الإنسان أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وعلم التفسير ، وعلم القراءات . وعلوم الحديث ، وعلم أصول الفقه الذي يعني باستنباط الأحكام (المأخوذة من كتاب الله) من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط : وعلم الفقه وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر ، والتدب والكراهة والإباحة ، وعلم الكلام وهو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية الرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة ، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد . ثم ضيف ابن خلدون علوم التصوف وتفسير الرؤيا . ويصف علم التصوف بأنه ناتج عن انقطاع بعض الصحابة والأئمة للعبادة وإعراضهم عن زينة الحياة الدنيا وترفها . ويصف علم الرؤيا وتفسير الأحلام بأنه معروف منذ القدم فقد فسّر سيدنا يوسف عليه السلام الرؤيا ، وأن هذا العلم مبنى على قوانين وقرائن انحدرت للناس منذ القدم .

أما العلوم العقلية فهي ما يهتدى إليها الإنسان بفكره من فلسفة وعلوم ،

وتشمل هذه العلوم المنطق ، والطبيعات ، والإلهيات ، وعلوم المقادير من عدد وهندسة وهيئة . ثم علم السحر وهو قدرة حقيقية في بعض النفوس على التأثير في عالم العناصر . وعلم السحباء وهو علم حادث صدر عند ظهور غلالة المتصوفة ، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس ، وظهور الخوارق استناداً إلى طبائع الحروف . وعلم الكيمياء وهو ينظر في تحوّل المعادن إلى ذهب ، ويرى أن هذا لا يكون إلا عن طريق السحر والكرامات ، وأن هذا معاناة يلدن طائل . وعلم النجوم وهو يزعم معرفة الحوادث قبل وقوعها من معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في عالم العناصر ، ويرى ابن خلدون أن علم النجوم صناعة فاسدة لأن تأثير الكواكب فيها تحتمها باطل إذ قد تبين في باب التوحيد ألا فاعل إلا الله .

ويقول ابن خلدون أن الفلاسفة صناعة باطلة ، ويقول إن الفلاسفة يزعمون أنهم يعرفون كل شيء ، ولكن العالم أوسع من أن يستطيع عقلنا لإحاطة به ، وأنه يوجد من الكائنات والأشياء أكثر مما لا نهاية له مما نستطيع أن نعلم ، كما يقرر أن الأفيضة المنطقية لا تنفتح في الغالب مع طبيعة الأشياء المحسوسة ، وأن ما يزعمه البعض من إمكان الوصول إلى الحقيقة بمجرد استعمال قوانين المنطق ، فإنه وهم كاذب .

ورتب ابن خلدون العلوم حسب أهميتها للمتعلم فقسمها إلى أربعة أقسام : العلوم الشرعية بأنواعها ، ثم العلوم الفلسفية كالتطبيعات والإلهيات ، ثم العلوم الآلية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها . وأخيراً العلوم الآلية المساعدة للعلوم الفلسفية كالمنطق (١) .

ثم يعرج ابن خلدون إلى نقد طرق التعليم السائدة في عصره ، فهو يحدد فصلاً في المقدمة عنوانه « وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق — إفادته » (٢) . . . ، ويقول فيه . . . « وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا

(١) فحبة - بيان . المذهب التزويدي عند ابن خلدون . ص : ٣٨

(٢) الفصل التاسع والمشرون من الباب السادس من المقدمة .

العهد الذي أدر كنا يجهلون طرق التعليم وإفادته ويحضر المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلدة من العاوم ويطلبونه باحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفون وعى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما ياقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجياً ، ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالحماة إلا في الأدل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ، ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف في قبوله ، وتمادي في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم (١) .

١ - ومن قول ابن خلدون منذ حوالى ستة قرون نخرج مجموعة من المبادئ والآراء يابح فيها رجال التربية اليوم ، ومن عبارة ابن خلدون نلمح المبادئ الآتية :

١ - ألا يقدم للمتعلم في بداية عهده بالتعليم المسائل الصعبة ، وأد المدرسين يخطون إذا ظنوا في هذا مراناً للمتعلمين . ويقول ابن خلدون إن الاستعداد للتعليم ضرورى ، وأنه يتم تدريجياً .

٢ - يتعلم الفرد البسيط الذى يستطيع عقله تقبله ثم بالتدرج والتكرار يتقدم إلى الأصعب باستعمال الأمثال الحسية أو الوسائل المعينة ، وبهذا يتم لفرد تحصيل العاوم والفنون .

٣ - يتعرض ابن خلدون إلى الآثار التى تنجم عن تكليف المتعلمين فوق طاقتهم ، وأن ذلك ، وخاصة في المرحلة التى لم يستعد المتعلم فيها استعداداً عقلياً مناسباً ، يؤدى بهم إلى الانحراف عن التعليم والتكاسل ويلقى اللوم على سوء التعليم :

وفي لغة حديثة نقول إن ابن خلدون منذ ستة قرون تكلم عن الاستعداد للتعلم ، والشوق ، والتشويق ، والحرص ، والتدريب ، والاهتمام والجهد . . . ويتكلم ابن خلدون في تفصيل أكثر شارحا التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين ، ويقول إنها تحصل من ثلاث تكرارات . وهذا ما يراه ابن خلدون .

١ - . . . « يلقي عليه (المتعلم) أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك تحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ؛ وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله (١) .

ويستخدم ابن خلدون عبارة « على سبيل الإجمال » ولعله يعنى عدم الخوض في التفاصيل الدقيقة للعلم ، وإنما يتناول المتعلم في بداية تعلمه العموميات المحملة التي يستطيع عقله واستعداده تحصيلها . أما عبارة « تحصل له ملكة » ، فالملكة بالفتح تعنى السيطرة على الشيء ، ولعله يقصد سيطرة وتملك المتعلم على ذلك العلم أو الفن . . . ولكنه يستدرك فيقول إنها سيطرة جزئية وضعيفة : وأن غرضها أنها هيأته لفهم الفن . ولعله يقصد بكلمة « فهم » هنا أن المتعلم أحاط بفكرة عامة عن الفن أو العلم .

٢ - . . . « ثم يرجع به إلى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته (٢) .

وهذه رتبة أعلى من الرتبة السابقة ، وهنا يستوفى المعلم الشرح ويخرج من الحقائق العامة المحملة إلى التفاصيل ، فهو ينتقل من العام إلى التفاصيل موضحاً وجه الخلاف ، وعارضاً مختلف وجهات النظر .

٣ - . . . « ثم يرجع به وقد شد ، فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا مغلقاً

إلا أوضحه ، وفتح له مقله ؛ فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد . وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاثة تكرارات . وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه « (١) . وفي هذه المرحلة الثالثة لا يترك المعلم عويصاً ولا مبهماً غامضاً إلا أوضحه وشرحه حتى يتمكن المتعلم من الفن أو العلم تمكناً يرضى معلمه . وبحكمة واضحة يحرص ابن خلدون فيقول إن بعض المتعلمين قد يستولون على ملكة الفن في أقل من ثلاث تكرارات وذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه . ولعل ابن خلدون هنا يتكلم بما نطلق عليه من اصطلاحات عصرنا « الفروق الفردية » .

وفي فصل من المقدمة تحت عنوان « كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم » يقول .. « ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والانشاء في العلوم ، يولعون بها ، ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن . وصار ذلك مخلاً بالبلاغة ، وعسراً على الفهم . وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير ، البيان فاختصروها تقريباً للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه وأصول الفقه ، وابن مالك في العربية ، والخونجي في المنطق ، وأمثالهم . وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل ؛ وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ ، بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم كما سيأتي (٢) . ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن ألفاظ المختصرات تجدها لأجل ذلك عويصة ، فيقطع في فهمها حظ صالح من الوقت . ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات ، إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة ، فهي ملكة قاصرة

(١) المقدمة . ص : ٥٣٣ .

(٢) هنا الفصل سابق للفصل الذي عنوانه « وجه لصواب نلم العلوم وطرف إفادته » وهو للفصل الثامن والمعروف من الباب السادس .

عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك التكرارات والإحاطة المفيدتين لحصول الملكة التامة... فقصدوا إلى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبهم صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها» (١).

ومرة أخرى يتناول ابن خلدون مسألة الاستعداد عند المبتدئ وكيف أن هذه المختصرات الخلة تضر بالعلم والفن ، فهي صعبة في فهمها ، ولا يسيطر المتعلم على العلم من مجرد حفظه هذه المختصرات . ويعيب ابن خلدون على الحفظ عند المتعلمين وخاصة حفظهم هذه المختصرات ، لأنها لا تحقق لهم تحصيل الملكات النافعة لهم . ولعل ابن خلدون يقصد شيئاً أعمق من مجرد أن تكون وظيفة التعليم تحفيظ المتعلم غايات العلم وأن تركز له هذه المختصرات التي تتكون من ألفاظ قليلة محشوة بالمعاني الكثيرة :

ويتدرج ابن خلدون في فصول لاحقة وسابقة من مقدمته في قسمها الخاص بالتعليم فيوضح لنا أسساً اعتقد أنه سبق بها زمانه بمئات السنين . ومن هذه الآراء :

— يكره ابن خلدون كثرة التأليف في العلوم لأن هذا عائق عن التحصيل ، فيقول .. « أعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف ، واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدد طرقها ... » ولعل ابن خلدون يرمي إلى التيسير على المتعلمين في سنينهم المبكرة فلا يضيع الواحد منهم في غمرة الآراء الكثيرة والاتجاهات المختلفة . وقد يصح أن تكثر المدلفات في مراحل التعليم العالية حيث يكون طالبو العلم أكثر استعداداً :

— يرى ابن خلدون عدم تقديم دراسة القرآن للأطفال على غيره من المواد ، وهي الطريقة التي كانت سائدة في عصره . فيعقد فصلاً عنوانه

« تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه » (١) ، فهو يستحسن ألا يتعلم الطفل القرآن من حادثته وذلك لقلّة إدراك الصغار وفهمهم ، فيه من معاني سامية . ويرى ابن خلدون أن يؤجل درس القرآن وحفظه إلى أن يصل الفرد إلى سن مناسبة ومستوى من التفكير يجعله قادراً على فهم معانيه . — يعقد ابن خلدون فصلاً عنوانه « الشدة على المتعلمين مضرة بهم » (٢)

ويقول في هذا الفصل .. « وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم ، سيما في أصاغر الولد ؛ لأنه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعا إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعمله المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلفاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين ، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ، ونال منها العسف واعتبره في كل ما يملك أمره عليه ، ولا تكون الملكة الكافلة له رقيقة به تجد في ذلك استقراراً .. وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء ؛ حتى أنهم يوصفون في كل أفق وعصر بالخرج ، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد ، وسبق ما قلناه . فينبغي للمعلم في متعلمه ، والوالد في ولده ألا يستبدا عليهما في التأديب » (٣) .

وهكذا يعطينا ابن خلدون أسساً رائعة في معاملة الأطفال ، ويربط بالتشبيه بين الفرد والمجتمع معطياً مثلاً من اليهود الذين فشا فيهم خلق السوء .

(١) الفصل الواحد والثلاثون من المقدمة .

(٢) الفصل الثاني والثلاثون من المقدمة .

(٣) المقدمة . ص : ٥٤٠ .

ويتكلم عن أثر القهر في النفس وكيف يسود حياة صاحبها ويذهب بنشاطها ويدعوه إلى الكسل ويحمله على الكذب . وقد اهتم علماء النفس الحديثين بالاهتمام بمعاملة الأطفال حتى لا تكون تربيتهم مؤدية إلى تكوين عقد نفسية يعانون منها في طفولتهم وكبرهم . ويرى ابن خلدون أن الشدة على الأطفال تدعوهم إلى أساليب يطلق عليها اليوم (انحرافية أو مرضية) كالمكر والحبث والخديعة .

- وينصح ابن خلدون ألا تطول الفترات بين الدروس : إذ أن في التقطيع مدعاة لأن ينسى المتعلم ما درسه لطول الفترة بين الدرس والآخر . وقال إن مواصلة الدروس يربط بينها وبين بعضها ويساعد على أن تتم عملية التعلم في وقت أقصر ، وبطريقة أصح وتأتي بنتيجة أفضل (١) . ويقول في هذا الصدد .. « ينبغي ألا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطع ما بينها لأنه ذريعة إلى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها » .

- ويقول ابن خلدون إن تعليم اللغة - الذي يجب أن يكون أساساً لتعلم سائر العلوم - يبدأ بتعلم الكتابة والقراءة ، ثم تربط الألفاظ بالمعاني ، ثم ينتهي بالتجريد والربط بين المعاني المختلفة وبين بعضها ، ويقول في ذلك .. « فأولا دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها ، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالها المعروفة في صناعة المنطق ، ثم تلك المعاني مجردة في الفكر إشراك يقتضى بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرحمة الله » .

ومن رأى ابن خلدون أن الفرد يستطيع التعبير عن آرائه بطريقة أحسن وأفصح إذا استخدم لغته الدارجة التي يعترفها وبمجدها ، وبها يستطيع أن يصب معانيه ومشاعره وأفكاره في ألفاظ . وينصح لذلك بتعليم اللغات الدارجة إلى جانب اللغة العربية الأصلية وهما لغة مضر .

(١) فنية سليمان : المرجع الأسبق . ص : ٥٥

- ويفرق ابن خلدون بين التعليم النظرى والتعليم العملى (١) . فالتعليم النظرى أرقى من العملى لأنه يحتاج إلى استعمال الكتابة ... والكتابة من بين الصنائع الأكثر فائدة « وهو يقصد فائدة للنمو العقلى . والتعليم النظرى أرقى لأن فيه انتقالاً من .. « الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية فى الخيال ، ومن الكلمات اللفظية فى الخيال إلى المعانى التى فى النفس فتحصل ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات « .. أى أن التعليم النظرى يحتاج إلى تكويز مدركات كلية مجردة ، وإلى تطبيق هذه المدركات فى شتى الشئون .

رابعاً : الظاهرة السياسية : الملك

ويرى ابن خلدون أن الملك مظهر من مظاهر السلطة المرافقة لكل مجتمع ، ولهذا فلم يتم ملك إلا بعصبية وغلب . ولا يجذ قصر الخلافة على قريش أو على واحد ويصف من يقول بهذا بأنه ضال . ويقول إن من طبيعة الملك الاستئثار بالسلطة والانفراد بالجد ، والترف والسكون ، ويقول إن الترف يحصل عن فتح يتم ومال يجمع ومغلوب يقلد ، ويدعو إلى السكون راحة من جهاد وجنى ثمرات الملك ، واستقرار فى تصور ، واستمتاع بنعيم الدنيا .

وقد يكثر صاحب الملك من الضرائب ، وهذا يفقر الرعية ويدفع بها إلى الكسل ، وهذا يؤدى إلى قلة المال وقلة الجباية وافتقار السلطان الذى أكثر من الضرائب من كثرة الترف . ويرى ابن خلدون أن للدولة عمراً طبيعياً لا تتعداه هو عمر الفرد الطبيعى (٢) ... « وتستمر الرياسة ثلاثة أجيال ثم تهزم ، وهذا هو قانون الأجيال الثلاثة : حداثة وشباب وهزم ، ينحصر له الفرد ، ورياسة القبيلة ، وملك الدولة » .

ويعرض ابن خلدون فى كتابه « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر » وفى (الكتاب) الثانى تبدأ الموسوعة التاريخية ويتحدث فيها عن أخبار الأمم

(١) فتحة سليمان : المرجع السابق . ص : ٦١ .

(٢) عمر الفرد الطبيعى فى رأى ابن خلدون ١٢٠ عاماً أى ثلاثة أجيال .

الأخرى من أفرنجية وتركية . ثم تأتي أخبار البربر في (الكتاب) الثالث الذى يختتمه بالتعريف عن نفسه ، أو كما يطلق عليه حديثاً بالأوتوبايوجرافى - Auto - piography . وقد أورد ابن خلدون تاريخ حياته فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً » ، على أن التاريخ لحياته تضمن أيضاً ذكر ما مر به من حوادث وتفصيل عن بعض الخطب والرسائل والقصائد ، ثم هو يصف المجتمعات التى عاش فيها ، كما يشتمل هذا الكتاب على بحوث تاريخية لبعض الدول فى المغرب الأدنى والأوسط والأقصى والأندلس وسلاطين المماليك والأيوبيين فى مصر وغيرهم . وفى الكتاب تحقيق لحالة الفساد التى سادت القضاء المصرى . وقد ظهر لنا هذا جلياً فى حديثنا عن حياة ابن خلدون فى زمن إقامته فى مصر . وقد نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الكتاب فى مصر عام ١٩٥١ .

وبين القسم الأول من كتابه « كتاب العبر » وهو المقدمة التى تعرضت إليها سابقاً ، والقسم الأخير من الكتاب وهو التعريف بنفسه ، يقع ما كتبه ابن خلدون عن التاريخ وقد قسم كتابه إلى فصول متصلة متداخلة . وقد تتبع تاريخ كل دولة على حدة من البداية إلى النهاية ، ومع الاهتمام بما بين الدول من صلوات ، وهو بذلك ينهج نهج سابقه ممن عمدوا إلى الكتابة فى صورة جداول تاريخية مرتبة حسب السنين .

ولابن خلدون نظرية فى التاريخ وفلسفته فهو يرى أن المجتمع يخضع لتطور حتمى يشمل درجات متنوعة ، فمجرد أن يصل المجتمع إلى أعلى درجة من الكمال تديحها له طبيعته فان الانهيار يبدأ ويودى بالمجتمع شيئاً فشيئاً حتى يسقط تماماً . وهذا السقوط فى نظر ابن خلدون يعنى حلول أسرة حاكمة محل أسرة أخرى . ويتميز تاريخ ابن خلدون بالدقة والأصالة العلمية ، فقد وصف أحد علماء الغرب فى العصر الحديث واسمه دوزى رواية ابن خلدون عن تاريخ النصرارى فى أسبانيا بأنها « منقطعة النظر ، ولا يوجد فى بحوث علماء الغرب المسيحيين فى العصور الوسطى ما يستحق أن يقارن بها ، وأنه لم يوفق

أى عالم من هؤلاء إلى تدوين التاريخ عن هذه الدول في مثل الدقة والوضوح اللذين يتسم بهما تاريخ ابن خلدون (١) .

أما عن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية فقد اهتم الغربيون بها كل الاهتمام ، فيقول دى بور الهولندى إن ابن خلدون أول من حاول أن يشرح بإفاضة تطور المجتمع وتقدمه لأسباب وعلل معينة (٢) . كما يقول الاجتماعى لدفيج جمبلوفتش إن ابن خلدون أول من اهتدى إلى نظرية الأجيال الثلاثة الخاصة بنهوض الأسر وانحلالها قبل أن يعرضها أوتو كارلورنتس في أواخر القرن التاسع عشر . ويذكر جمبلوفتش أن أقوال ابن خلدون عن الوسط وموثراته يدل على أنه عرف « قانون التشبه بالوسط » قبل أن يعرفه داروين بخمسة قرون . ويبدى الاجتماعيون إعجابهم فيما يقوله ابن خلدون عن تشبيه الإنسان بالحيوان في الخضوع للقوانين الاجتماعية العامة مما يدل على أنه عرف مبدأ « وحدة المادة » قبل أن يعرفه هيجل .

ويقول جوستون بوتول (٣) إن حب ابن خلدون للشئون العسكرية جعله يخصص في المقدمة عدة أبواب للاستراتيجية ، ثم يقارن بينه وبين ماكيا فيللى الفلورنسى ، فيقول إن ماكيا فيللى أيد ابن خلدون في قوله عن نظرية الجيوش القومية التى تدافع عن أرضها - فقد كان المعروف وقتئذ أن الحرب يقوم بها الجنود المرتزقة ، وقدم للإمارة عدة مشروعات لتنظيم الجند ، ولكنه لم يضع - مثل ابن خلدون - نظرية عامة للعصبة وتماسك المجتمعات .

ويقول بوتول أيضاً إن روسو رأى كما رأى ابن خلدون أن سكان المدن

(١) عل عبد الواحد وانى : (المرجع الأسبق) ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) محمد عبد الله عنان (الموجع الأسبق) ص : ١٥٠-١٥١ .

(٣) جوستون بوتول : (المرجع الأسبق) ص : ١٩٤ .

يتكونون من رجال أفسدتهم الحضارة . ويقول شميدت الأستاذ بجامعة كورنل
بأمريكا إن ابن خلدون كورخ وفيلسوف اجتماعي يوضع في صف واحد مع
أبرز المؤرخين والاجتماعيين (١) . ويرى شميدت أن ابن خلدون هو مؤسس
علم الاجتماع قبل أوجست كونت بعصور طويلة ، وأن ابن خلدون ذهب
في تفكيره إلى حدود لم يذهب إليها كونت .

(١) محمد عبد الله عنان : (المرجع السابق) ص : ١٥٧ - ١٥٩